

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية



ثقافة التقريب

مجلة ثقافية شهرية تصدر عن المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

العدد التاسع - صفر ١٤٢٩ هـ / شباط (فبراير) ٢٠٠٨ م

- الآراء الواردة لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر المجمع العالمي للتقريب
- تسلسل الموضوعات خاضع لاعتبارات فنية

المراسلات:

فاكس: 9821 88321616 +9821 هاتف: 9821 88321411

العنوان البريدي للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية:

الجمهورية الإسلامية في إيران - طهران - ص. ب: ٦٩٩٥ - ١٥٨٧٥

العنوان الإلكتروني: info@taghrib.ir

الموقع: www.taghrib.ir

ثقافة التقريب

ملحق

رسالة التقريب

مجلة تثقيفية عامة تهتمّ بعرض الأفكار التي ترتبط
بوحدة الأمة مباشرة أو بصورة غير مباشرة،
مع التأكيد على ضرورة وضع المسلمين أمام
مسؤولياتهم الكبرى في استعادة العزّة والكرامة
واستئناف البناء الحضاري

الإشراف العام

الشيخ محمد علي التسخيري

هيئة التحرير

مجموعة من الكتاب الرساليين المهتمين بمستقبل
الأمة الإسلامية وبوحدة الدائرة الحضارية للعالم الإسلامي
إعداد المجلة:

مركز الدراسات الثقافية الإيرانية العربية

www.iranarab.com

منهجنا في نشر المقالات

- ١- أن يكون المقال ما قلّ في الصفحات ودلّ على فكرة مفيدة في حقل التقريب وصحوة الأمة ووحدتها.
- ٢- للمجلة الحقّ في التلخيص وتعديل العبارات، دون أيّ مساس في المحتوى، كي يكون المقال منسجماً مع الإطار العام للمجلة.
- ٣- يحقّ للكاتب أن يطلب عدم ذكر اسمه، وهيئة التحرير سوف تنشر مقالاتها دون ذكر كاتبها تجنباً لتكرار الأسماء.
- ٤- ننشر أيضاً مختارات وعصارات مما كتّب في تراث التقريب.
- ٥- المقالات والتعليقات التي تعارض هدف المجلة سوف ننشرها أيضاً إذا كانت ملتزمة بأدب الاختلاف، مع الاحتفاظ بحقنا في التعليق.

المحتوى

العدد التاسع

٤	أوضاع المنطقة بين الفرص والتهديدات
٧	نداءات القرآن
١٣	وقفات عند فكر الإمام الخامنئي
٢٣	الوسطية الإسلامية والبعد الحضاري
٣٠	مفاهيم يجب تصحيحها
٣٦	الكرامة الإنسانية
٤٣	نهج البلاغة
٥٥	التقريب بين المذاهب الإسلامية في ظل إطار جديد
٦٠	المثقفون والبحث عن الحداثة
٦٤	ثورة الامام الخميني
٧٠	الصنوبري عاشق الجمال
٨٢	نداء إقبال ووحدة المسلمين
٨٤	رحيل العلامة شهيدى
٨٩	التحدي الحضاري
٩٣	الحضارة الإسلامية
١٠٨	موضوعات الساعة

أوضاع المنطقة بين الفرص والتهديدات

هكذا كان العالم الاسلامي دائماً بعد سقوطه بيد المستعمرين.. فرص تتوالى عليه لاستعادة عزّته وكرامته وتهديدات تتتابع لإضاعة هذه الفرص واحتوائها. الفرص التي توفّرت للعالم الإسلامي في العقود الأخيرة ليست بقليلة..

ابتداءً من انتصار الإسلام في إيران ومروراً بانتفاضة الأقصى وثورة الحجارة وهزيمة الاتحاد السوفيتي في أفغانستان وانتصارات المقاومة الإسلامية في لبنان.. وهذه الصحوّة الإسلاميّة التي تعمّ العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه..

لكن كلّ هذه الفرص تعرّضت للانتقام القوى الكبرى، وكان الانتقام مباشراً كما حدث في أفغانستان والعراق، أو بصورة غير مباشرة على يد "المسلمين" أنفسهم كما حدث في إيران ولبنان وفلسطين.

في ساحة هذه المجابهة بين الفرص والتحديات تظهر بوادر أمل بالمستقبل، وتدلّ على أن التهديدات مهما تصاعدت فثمة أمل كبير في قدرة العالم الاسلامي على التغلّب عليها.

محاولات أمريكا والعدوّ الصهيوني في إذلال شعوب المنطقة

وإفراغها من الشعور بالعرّة والكرامة قد فشلت، وها هم المسلمون يعبرون في كل فرصة عن وجودهم ويدافعون عن هويتهم ويرفضون الاستسلام أمام مذليهم.

محاولاتهم لإضعاف إيران ومحاصرتها فشلت أيضاً، فها هي إيران الإسلام تقف شامخة مرفوعة الرأس تواصل مشاريعها العلمية في حقل الطاقة وفي حقل التقانة المتطورة، وتسجل على الصعيد الخارجي حضوراً شعبياً ورسمياً قلّ له نظير، فلأول مرة يُدعى رئيسها للحضور في اجتماع مجلس التعاون، ولأول مرّة يدعى رسمياً لأداء فريضة الحج.

ومحاولاتهم لإثارة زوبعة من الاحتقان الطائفي فشلت أو كادت، وكانت فرصة عاشوراء الماضية - مع كل ما اعترأها من سلبيات طفيفة - رائعة في حديث المسلمين جميعاً سنة وشيعة عن الحسين وعطاء نهضة الحسين عليه السلام، وفي تعاون السنّة والشيعه على إقامة المجالس وحفظ أمنها.

محاولاتهم في الخلط بين أوراق الإرهاب والمقاومة فشلت أو كادت، بعد أن فرزت الأمة بوعيتها بين الإرهابيين والمقاومين، وبعد أن تبين لها أن كثيراً من عمليات الإرهاب تفتعلها أجهزة المخابرات الصهيونية والأمريكية والبريطانية لتشويه سمعة المقاومة أولاً، ولإثارة النزاعات بين المسلمين ثانياً. والوثائق في هذه المسألة أصبحت مكشوفة.

زيارة الرئيس الأمريكي بوش الأخيرة إلى المنطقة كانت عملية إبراز عضلات الإمبراطورية الأمريكية أمام شعوبنا. لكنّ ثمة شبه إجماع من المراقبين والمحلّلين على فشل هذه الزيارة، بعد أن واجهت سخطاً شعبياً، كما واجهت رفضاً رسمياً خاصة بالنسبة لما أراده بوش من تعبئة عربية لتهويد فلسطين وإخلائها تماماً من طابعها الإسلامي العربي، ولاتخاذ موقف معاد تجاه إيران.

هذا لا يعني طبعاً "هزيمة" أعداء الأمة نهائياً.. فهم يواصلون الكرّة بعد الكرّة.. كما لا يعني هذا انعدام حالة الضعف التي تعيشها الأمة، لكنه يعني شيئاً واحداً وهو أن هذه الأمة لا تزال تملك مقوّمات الحياة رغم كل التهديدات.. لا تزال تملك أن تنمو، وتملك أن تقاوم، وتملك أن تتواصل أجزاءها عضوياً، هذا بقدر ما عندها من إرادة.. ويقدر ارتباطها بربّ العالمين.

الديانة الإسلامية في الوقت الحاضر هي بمثابة سفينة ريانها محمد بن عبدالله (ص) وركاب هذه السفينة المقدسة كافة المسلمين خاصتهم وعامتهم. وفي الوقت الحاضر أشرفت هذه السفينة على الغرق في بحر السياسة العالمية، كما تعرضت لخطر الطوفان. ولعل الحوادث السياسية، والدسائس الدولية، تؤدي إلى إغراق هذه السفينة وتحطيمها، فما حيلة ركابها وهي مشرفة على الغرق وما هو تدبيرهم؟
سيد جمال الدين الأفغاني

نداءات القرآن

*

محسن قراءتي

٢٢- الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ.

النداءات

● في الآية إشارة إلى ما تتضمنه الأرض من نعم صيرت الأرض فراشاً للبشر، مثل اختلاف التضاريس وتناسب بُعد الأرض عن الشمس، ووجود مقومات الحياة كالهواء والماء والغذاء. وفي القرآن إشارات عديدة إلى ما يتوفر في الأرض من تيسير لحياة الانسان:
فهي "مهد": ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾ و "ذلول": ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا﴾. وكفات (جامعة): ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا﴾ والسماء كل ما علا الأرض. والغيم من السماء لعلوه.

- تذكر النعم الإلهية من أفضل سبل الدعوة إلى العبادة:
﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمْ... الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ﴾.
- أفضل سبل معرفة الله الاستفادة مما وفره سبحانه من نعم:

﴿جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ .

● في نظام الخليقة انسجام كامل.. انسجام بين الأرض، والسماء، والمطر، والزرع، والفاكهة، والإنسان (برهان النظم):
﴿جعل.. أنزل.. أخرج﴾ .

● كل المخلوقات أوجدها الله لهدف معين: ﴿رِزْقًا لَكُمْ﴾ . والمطر لإثمار النبات: ﴿فَأَخْرَجَ بِهِ﴾ والفاكهة لرزق الإنسان: ﴿رِزْقًا لَكُمْ﴾ .

● الأرض والمطر من الوسائل، فنموّ النبات والثمر بيد الله سبحانه: ﴿فَأَخْرَجَ﴾ .

● النظم والانسجام في جهاز الخليقة مؤشر على التوحيد، فكونوا أنتم أيضاً موحدين: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا﴾ .

● الإيمان بالله له جذور ضاربة في فطرة الإنسان ووجدانه: ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ .

● دليل وجوب عبادتكم لطفه سبحانه، فهو الذي جعل لكم الأرض والسماء والمطر والزرع لرزقكم: ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ... الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ﴾ .

● الله سبحانه حاكم على الأسباب الطبيعية: ﴿جَعَلَ.. أَنْزَلَ.. أَخْرَجَ﴾ .

● الشرك بالله من الجهل: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ .

٢٣- وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ
وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ.

النداءات

● هذه الآية تذكر إعجاز القرآن. الأنبياء لهم دعوة واحدة وهي هداية البشرية إلى عبادة الله بالدليل والموعظة الحسنة. ولهم ادعاء واحد وهو أنهم مبعوثون من الله لهداية الناس ويأتون لإثبات ادعائهم بالمعجزة. فالمعجزة لإثبات الادعاء لا الدعوة. جدير بالذكر أن المعجزة لا تلغي قانون العلية، فالعلة إما الإرادة الإلهية أو أنه سبحانه أخفاها عن الناس.

الله سبحانه تحدى المخالفين مراراً بأن يأتوا بمثل هذا القرآن: ﴿فَأْتُوا بِكِتَابٍ﴾ بل بعشر سور منه: ﴿فَأْتُوا بِعَشْرٍ سُورٍ مِّثْلِهِ﴾ بل بسورة واحدة: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾.

● تقسيم القرآن إلى سور كان موجوداً في زمن نزول الوحي: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ﴾.

● القرآن يذكر اسم الأنبياء مقروناً بكلمة "عبدنا": ﴿عَبَدْنَا أَيُّوبَ﴾ إبراهيم... كل من عبدنا ﴿أما بشأن النبي الخاتم فيكتفي بكلمة "عبد" دون ذكر اسمه في إشارة إلى عبوديته المطلقة عليه أفضل الصلاة والسلام ﴿عَبَدْنَا﴾.

● لا بد أن تبدأ الدعوة بتطهير القلب من الشكوك وخاصة في

مسائل العقيدة: ﴿إن كنتم في ريب﴾.

- تلقى الوحي الإلهي يتطلب العبودية: ﴿نزلنا على عبدنا﴾.
- القرآن كتاب دليل وحنة ويقطع الطريق أمام الوسواس والشكوك: ﴿فاتوا بسورة من مثله﴾.
- الأنبياء عليهم السلام لا بد لهم من معجزة، ومعجزة نبينا الخاتم (ص) القرآن.
- الدين الخالد يتطلب معجزة خالدة يمكن أن ينفث عليها كل إنسان في أي زمان ومكان.
- خطاب القرآن ينطلق من ثقة تامة بأن أعداء الدعوة غير قادرين على أن يأتوا ولو بسورة من مثله.

٢٤- فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ.

النداءات

- قد يكون المراد من الحجارة في الآية الكريمة الأصنام التي كانوا يعبدونها بقرينة قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ وبذلك تكون هذه الأصنام شاهد جنائية على هؤلاء.

● الحديث عن وجه الإعجاز في القرآن كثير، ويمكن القول هنا باختصار أن هذا الكتاب الكريم يتألف من نفس ألفاظ البشر

لكنّ طريقة تركيب هذه الألفاظ وما احتوته من علم إلهي غير متناه هو أبرز وجوه الإعجاز.

● الآن، إذ شعرتم بالعجز فاستسلموا لنداء ربّ العالمين: ﴿وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا﴾.

● الإنسان الذي لا يتحرك على طريق الله (الجامد والكافر) هو والحجارة سواء: ﴿الناس والحجارة﴾.

● الخبائث الداخلية للمذنبين تتجسّم يوم القيامة وتصبح وقود نار جهنم: ﴿وقودها الناس﴾.

● النجاة من نار جهنم رهين بالإيمان بالقرآن وبالرسول: ﴿فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾.

٢٥- وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنْ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ.

النداءات

● قد يكون المراد من ﴿متشابهًا﴾ أن أصحاب الجنة يخالون في النظرة الأولى أن فاكهة الجنة مثل الفواكه الدنيوية، فيقولون: ﴿هذا الذي رُزِقنا من قبل﴾، لكنهم بعد تناولهم يفهمون أن هذه

جديدة في طعمها ولذتها. وقد يكون التشابه في الفواكه من حيث الجودة فليس فيها رديء.

● في القرآن يقترن "الإيمان" بـ "العمل الصالح" مع تقدم الإيمان على العمل الصالح، لأن القلب إذا استنار بالإيمان فإن هذا النور يشع من كل ما يصدر عن الإنسان من عمل فيكون عمله صالحاً ببركة الإيمان.

● الأزواج المطهرة قد تكون الحور العين، وقد تكون نفس نساء المؤمنين في الدنيا بصفات كاملة: ﴿وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ﴾.

● الآية السابقة تضمنت إنذاراً وهذه تتضمن بشارة ومن أصول التربية اقتران الإنذار بالبشارة .

● الإيمان القلبي لا بد أن يقترن بالعمل الصالح: ﴿أمنوا وعملوا الصالحات﴾.

● الدعوة في الآية إلى كل عمل صالح، لا إلى بعض الأعمال الصالحات فاللام في ﴿الصالحات﴾ للاستغراق.

● نحن في الدنيا قلقون على ما بأيدينا من نعمة خشية زوالها، لكن هذا القلق غير موجود في الآخرة: ﴿وهم فيها خالدون﴾.

● المؤمنون استشعروا لذة نعم الله في الدنيا، وهذا ما يزيد لذة نعمهم في الآخرة، لأن المسبوق بلذة الشيء يُقبل عليه بلذة أكبر: ﴿رزقنا من قبل﴾.

وقفات عند فكر

الإمام الخامنئي

أصول الدعوة - ١

"لجنة تنسيق العمل الإسلامي المشترك في مجال الدعوة" تابعة لمنظمة المؤتمر الاسلامي، وتضمّ منظمات إسلامية حكومية وغير حكومية. وتهدف إلى تنسيق الجهود الدعوية والإعلامية في شتى أنحاء العالم.

خلال الدورة التي ترأست فيها إيران منظمة المؤتمر الاسلامي بعد انعقاد القمة الإسلامية الثامنة عقدت هذه اللجنة اجتماعها في طهران، وكان من أهمّ معالم هذا الاجتماع لقاء أعضاء اللجنة بالعبد الصالح الإمام السيد علي الحسيني الخامنئي. وفي بدايته رحّب سماحته بحرارة بأعضاء اللجنة وقال:

إخوتي الأعزاء، لا أريد أن أتحدث إليكم باعتباري مسؤولاً رسمياً، بل باعتباري طالب علم، وباعتباري رجل دين. ما نهضتم به من أعمال خلال المنظمات المختلفة وفي البلدان المختلفة، على صعيد الدعوة وتنسيق شؤون الدعوة يستحق كامل التقدير، ولاشك أن الله وحده قادر على أن يشكركم على مساعيكم المخلصة والصادقة التي تبذلونها على

طريق الدعوة إلى دينه. وأنا العبد الضعيف الحقير
أتقدم أيضاً بالشكر إليكم على مساعيكم في طريق
الدعوة إلى الإسلام.

ثم تحدّث عن أهمية الدعوة إلى الإسلام مبيّناً أن الداعية الأول
إلى الله هو الله سبحانه وتعالى وأن الداعية الأول إلى الإسلام هو
الرسول الأعظم(ص).

ثم ركّز على نقطة هامة هي أن انتشار الإسلام إنما كان
بفضل الدعوة، نعم كان هناك السيف لكن لإزالة العقبات والموانع
من أمام الدعوة.

وأشار إلى انتشار الإسلام في إيران مؤكداً أن الدين المبين دخل
عن طريق القلوب، وبذلك يردّ على العنصريين المتعصبين
الإيرانيين الذين يحاولون أن يصوّروا الإسلام بأنه قد فُرض على
الإيرانيين فرضاً، وأن يخرجوا بهذه النتيجة وهي أن الإيرانيين لم
يعودوا مضطرين إلى قبول ما فُرض عليهم بالقوّة، ويردّ أيضاً على
العنصريين المتعصبين العرب الذين يحاولون أن يصوّروا الفتح
الإسلامي لإيران باعتباره نصراً قومياً عربياً على "الفرس
المجوس"!! وما شعارات صدام عنّا ببعيدة. يقول سماحته:

الدعوة إلى الإسلام فخر لكل من يحمل أعباءها.
إن الله يمنّ على عبده حين يمكنه من توجيه الناس
إلى صراطه المستقيم، ويبين لهم معالم الدين
الحنيف.

أول داعٍ إلى الله هو الله نفسه سبحانه وتعالى:
﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾.

وأول داعية إلى الإسلام هو النبي الأكرم (صلى
الله عليه وآله).

نفخر جميعاً بأننا نصدع بما أمر الله سبحانه
أفضل خلقه وأشرف أنبيائه إذ قال: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ
رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي
هِيَ أَحْسَنُ﴾.

الإسلام ببركة الدعوة استطاع أن يضرب بجرانه
في أرجاء المعمورة.

عندنا الجهاد أيضاً، عندنا السيف أيضاً، لكن
السيف لإزالة الموانع أمام الدعوة كي ينفذ نورها في
القلوب. في هذا البلد الكبير إيران لم يكن دخول
الإسلام في أعماق القلوب بسيوف المجاهدين، سيوف
المجاهدين أزال الموانع، إنها دعوة المؤمنين المخلصين
بلسانهم وعملهم، كانت الدعوة بالعمل أيضاً:
«كونوا دعاة للناس بغير ألسنتكم».

لقد أتت الدعوة الإسلامية أكلها على مرّ القرون
والأعصار، وترون اليوم عمق الإيمان الإسلامي في
قلوب شعوب آسيا وأفريقيا وسائر قارات العالم، بل

تتروى الشوق المتزايد إلى الإسلام في بقاع القفقاز
وآسيا الوسطى التي قبعت سبعين سنة تحت نير
النظام الماركسي المعادي للدين والإسلام. هذا الشوق
طفح بمجرد انهيار التسلط الشيوعي عليها.

ثم اهتمّ سماحته في حديثه بالوقوف عند قضية مستقبل
الدعوة. وهي قضية تُثار حتى في أوساط المتدينين بشأن جدوى
الدعوة في هذا العالم الصاخب بألوان الضغوط المادية والمفعم
بعواصف الشهوات والموبقات. وفي هذا المجال يشير السيد القائد
إلى: تعطّش البشرية إلى الإسلام.. وإلى متطلبات الدعوة: آلية
الدعوة.. مقصد الدعوة.. رؤية الداعية. يقول:

نحن في هذا المجال لا يعوزنا شيء. عندنا القرآن،
وعندنا سنة النبي وأهل بيته، وعندنا أحكام الإسلام
النيرة والمعارف الإلهية الإسلامية السامية. والعالم
اليوم بحاجة إلى هذه المعارف.

أقول لكم أيها الإخوة واثقاً: كما أن الأفكار
الإلحادية الماركسية لم تستطع أن تقاوم الأفكار
الإسلامية السامية طويلاً، بل كان لها جولة سرعان
ما انتهت، كذلك الأفكار الغربية الراهنة التي
تواجه الفكر الإسلامي في كثير من ساحات الحياة
بلغتها أخرى وبأساليب أخرى، لا تستطيع أيضاً أن

تقلل من عنذوبة أحكام الإسلام ومعارفه. البشرية اليوم متعطشة إلى الإسلام.

ما جاء على لسان بعض المفكرين إذ قالوا: «القرن الميلادي القادم هو قرن الإسلام» أويده أنا أيضاً. تجاربنا ورؤيتنا للساحة العالمية تؤيد ذلك، شرط أن نكون دعاة للإسلام وأن نعمل بواجباتنا. إذا نهضنا بواجبنا فالأجواء مهيئة.

المعارف الإسلامية لها قدرة الامتداد إلى أعماق القلوب في جميع أرجاء العالم.

المهم في هذا المجال أن الدعوة إلى الحق وإلى الإسلام لها متطلباتها في كل زمان. يجب أن نفهم هذه المتطلبات، لا بد أن نعرف مخاطبنا، ونعرف الخطاب المناسب لهذا المخاطب.

أرى أن الذي يجب أن يكون محور تنسيق العمل الدعوي بينكم أيها الأخوة والدعاة هو دراسة آلية الدعوة في عالمنا المعاصر. وإلى أي شيء ندعو؟ وما هو المنظار الذي نطلّ به على مسائل الناس ومشاكلهم لنستطيع أن نقدم إليهم الإسلام بشكل صحيح؟.

بعد ذلك يتطرق سماحته إلى مشكلتين على طريق تقديم

الإسلام بشكله الناصع الصحيح إلى العالم، الأولى: ذهنية حسر الإسلام عن الحياة، هذه الذهنية التي كانت دائماً عقبة أمام الانفتاح الشمولي على الإسلام، وكانت أيضاً عقبة أمام العاملين لعودة الإسلام إلى ساحة الحياة، واتهام الدعاة بأنهم يستهدفون تسييس الإسلام!! وأنهم يزجون الإسلام في المسائل السياسية!! والثانية: الذهنية المهزومة أمام الغرب التي تعمد إلى مسخ الإسلام لكي يتناسب مع ذوق الحضارة الغربية، فيعمدون إلى الالتقاط والترقيع وانتاج الفكر الغربي بمسحة إسلامية . يقول:

يظهر أن الساحة الإسلامية تشهد تيارين كلاهما يشكلان خطورة على الإسلام. أحدهما: اتجاه تصوير الإسلام على أنه مجموعة أعمال عبادية - أو شخصية على أبعد تقدير - وذلك يبعد الإسلام عن أهم ساحات الحياة، يبعد الإسلام عن ساحة السياسة والاقتصاد والعلاقات الاجتماعية والمجالات الهامة. ويحوّل الدين المبين إلى عقيدة صرفة في القلب وعمل فردي لا يتجاوز الإطار العائلي والارتباط الأسرى.

هذا الإسلام ليس بالذي يتعطّش إليه عالمنا المعاصر، وهو أساساً ليس بإسلام النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله). حين ورد رسول الله المدينة أقام الحكومة الإسلامية، وترأسها بنفسه. لو كان

بالإمكان أن ينتشر الإسلام دون الاعتماد على قدرة إسلامية ودون معالجة المسائل السياسية للمجتمع، لتترك رسول الله الحكومة لمن كان يطلبها، وانشغل هو بأمر الدعوة إلى الدين وأحكامه وإسداء النصح إلى الناس.

النبى أقام نظام الإسلام. والعمل بالإسلام يستلزم أن يسخر الدين كل ساحات الحياة. لا القلوب فحسب، ولا الأعمال الفردية والشخصية فقط، ولا المسائل الصغيرة والتافهة. هذا الاتجاه خاطئ إذن.

وثمة اتجاه خاطئ آخر في حقل الخطاب الإسلامي، وهو خاطئ بنفس درجة الاتجاه الأول. ويتمثل في اتجاه أولئك الذين يريدون أن يتحدثوا عن الإسلام، فلا يلوذون بمصادره الأساسية، بل يتجهون إلى ما راج في العالم من صرعات فكرية. يذهبون إلى ما يهيمن اليوم على كثير من مناطق العالم من فكر غربي، فيكرروه باسم الإسلام.

بعد ذلك يقف السيد الإمام عند الحضارة الغربية التي انبهر بها من انبهر، مؤكداً ضرورة الاستغراب (أي معرفة الغرب)، ونشر هذه المعرفة بين أبناء الأمة لإنعاش ذاكرتهم دائماً بشأن هذا البريق الخلب الذي ظاهره فيه الرحمة وباطنه فيه العذاب.

ومعرفة الغرب أصل ينبغي أن يعيه الدعاة إلى الله كي يقوا أنفسهم وأهليهم ومخاطبيهم من الانبهار. وفي هذا المجال يشير سماحته أولاً إلى الجانب الإيجابي من هذه الحضارة ثم يبين ما أفرزته من: مصادرة سعادة الانسان.. ومن مجازر دموية.. ومن استعمار.. ومن فرض حالة التخلف على الشعوب النامية. يقول:

للحضارة الغربية خطابها الخاص اليوم، وهو ليس بجديد، لقد خبره العالم مدة قرنين أو ثلاثة قرون. طبعاً البلدان الغربية حققت في مجال التطور المادي مكتسبات جيدة، ثروة هائلة، وتطوراً علمياً، واختراعات كبيرة. هذا دون شك وليد الجوانب الإيجابية الموجودة في تفكيرهم، أو وليد الخصائص القومية القائمة فيهم.

لكن البلدان الغربية في ظل هذه الحضارة ليست سعيدة بالمعنى الإنساني لكلمة السعادة. لا يتمتعون باستقرار روحي، ولا بعدالة اجتماعية، ولا رعاية لشؤون الإنسان والإنسانية. أعظم الحروب شعل أوارها الأوروبيون بهذه الحضارة. وبآلة هذه الحضارة ارتكب الغربيون أفظع مجازر التاريخ.

قبل مدة أعلنت إحدى الأجهزة الكنسية إحصاءاً مفاده أن عدد المسيحيين الذين قتلوا في القرن الأخير

يفوق قتلى المسيحية في كل التاريخ المسيحي. هذه إحصائية نشرت في هذا الأسبوع. وأود أن أسأل أصحاب هذه الإحصائية: من الذي قتل هؤلاء المسيحيين؟ هل قتلهم المسلمون؟ هل قتلهم البوذيون؟ أم قتلهم المسيحيون الغربيون أنفسهم؟!

من الذي قتل الملايين في الحربين العالميتين؟ المسيحيون الغربيون أنفسهم قتلوا المسيحيين. الأوروبيون ارتكبوا هذه المجازر، الغربيون هم الذين أبادوا الحرث والنسل، وقتلوا أيضاً كثيراً من غير المسيحيين وغير الأوروبيين.

هذه الحضارة الغربية أفرزت ظاهرة الاستعمار وفرضتها على العالم مدة مائة وخمسين سنة، وبسطت سيطرتها على كثير من البلدان الآسيوية والأفريقية. ولعل أفريقيا بأجمعها خضعت لسلطة الاستعمار وعانى الملايين من شعوبها من نير المستعمرين. انظروا ما فعله الإنجليز في شبه القارة الهندية. انظروا ما فعله الفرنسيون في شمال أفريقيا انظروا ما فعله الهولنديون والبرتغاليون والبلجيك في شرق آسيا، وما الذي أنزلوه بشعوب هذه المنطقة.

إيران لم تخضع يوماً لسيطرة استعمارية مباشرة،

لكن انظروا ما فعله نضوذ الدول الغربية بإيران.
أخرونا مائة سنة إلى الوراء كنا يوماً رواد العلم في
العالم. كان فكر إيران وعلم إيران في الطليعة. وفي
فترة نمو الشعوب وتطورها دخل الأوروبيون بالتعاون
مع المستبدين الداخليين ليعوقوا مسيرتنا ويؤخرونا
مائة عام عن قافلة الحضارة، ولينزلوا كل هذا
الظلم بإيران، وليخلقوا مجتمعاً يعاني ألوان
التمييز. كل واحد منكم شاهد على ما نزل ببلده
من مأس على يد هذه الحضارة الغربية. بل أريد أن
أقول: ما عانتها الشعوب الغربية من هذه الحضارة لا
يقل عمّا عانتها بقية الشعوب. البنيان العائلي في
الغرب وفي أوروبا، وخاصة أمريكا وأوروبا الشمالية
متزلزل، والشباب لا يشعر بالراحة، جيل الشباب في
ظل الحضارة الغربية تسوده الحيرة ويغمره
الاضطراب واليأس وعدم الاستقرار. هذه هي
المعطيات التي وهبها الغرب للبشرية.

الوسطية الإسلامية والبعد الحضاري

*
محمد علي التسخيري

• المفاهيم التي رفضها الإسلام هي التي تتجاوز الحدّ الشرعي • الخروج
عن الحد الطبيعي هو الخروج عن الذات ونسيانها • الأمن البشري معرض
دائماً لتهديد الطغاة والفاستقين • الإلحاد والشرك يجتمعان في إعاقة
الإنسان عن التطور المبدع الصالح • الطفيلان يهدّد كل ألوان الأمن
• للإسلام مشروع كامل لتحقيق الأمن على كافة الصعد • الوعي والتطبيق
العملي لمبادئ الإسلام وتوحيد الموقف تجاه القضايا المصرية هو الحل
لمكافحة الارهاب • لا بد من تعاون دولي لوضع تعريف للإرهاب للتفريق
بينه وبين المقاومة المشروعة.

الوسطية الاسلامية تعني: العدل، والتوازن، والحكمة ووضوح
الشيء في موضعه بما يحقق الهدف منه، وليس المقياس الكمي،
وإذا كانت الأمة الاسلامية هي الأمة الوسط: ﴿وَكَذَلِكَ
جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾، فإنما لأنها الأمة القدوة والأسوة
الحضارية للأمم بعد أن تقتدي بالرسول الأسوة.

وإذا راجعنا كل المفاهيم التي ينفر منها الإسلام وجدناها

❖ - الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية.

تخرج عن الحد الوسط بهذا المعنى: فمفاهيم: الإلحاد والشرك
والفاحشة والتهور والإسراف وأمثالها بل حتى المفاهيم السلبية
كالرهبة والبخل والجبن واللامسؤولية، هي نوع من أنواع تجاوز
الحد أو فلنعبّر بعدم الالتزام بالحد الشرعي.

فالعيار هو الحدّ الإنساني الذي ارتضاه الله تعالى، وربما
أدركناه بوجودنا لوضوحه كالطيبات والخبائث، ولكن المنظار
الإلهي يعطينا صورة كاملة عن الحد الوسط أو فلنعبّر بالحد
الطبيعي الذي يعني الخروج عنه خروجاً عن الذات ونسيانها، وهنا
يأتي هذا التعبير الإلهي الجميل: ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ
أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾، تماماً كما تفسق النواة حين تخرج عن
موقعها الطبيعي فتسميها العرب نواة فاسقة.

والأمن البشري على مدى التاريخ مهدد من قبل الطغاة
والفاسقين. ذلك أننا لو نظرنا من عل إلى كل أنهار الدماء
والدموع والاعتداء على النسل والحرث والعقل والانسانية، فإننا
بكل سهولة نستطيع أن نرجعها إلى مظهرين من مظاهر الطغيان
هما: كما يعبر الشهيد الصدر:

مشكلة الضياع والالانتماء، ومشكلة الغلو في الانتماء بتحويل
الحقائق النسبية إلى مطلقات. والتعبير الإسلامي عنهما هو
(الإلحاد) و(الشرك)، وهما يلتقيان في نقطة واحدة أساسية هي
(إعاقة حركة الإنسان في تطوره عن الاستمرار المبدع الصالح)

(الفتاوى الواضحة/٥٩٥) أما العلاج فهو الإيمان بالله الواحد والمسؤولية تجاهه.

إن اللإيمان أو الإيمان بالوثنية هما حالتا طغيان أو قُل هما سببان عظيمان للطغيان، فإما أن تنتفي المسؤولية في حالة اللإنتماء، أو تتضخم الصورة الوثنية للذات أو للحجر أو للحاكم أو للاسطورة أو للمنصب أو للمال أو للقوة أو للشهوة، وكلها أمور نسبية يحوّلها الجهل الى أمور مطلقة، وحينئذ يكون الدمار، ويكون التهديد العظيم للأمن الإنساني بشتى أنواعه.

إننا نستطيع أن نتصور أنماطاً شتى من الأمن للإنسان فهناك الامن الفكري والاجتماعي والأخلاقي الإنساني والعائلي والصحي والبيئي والسياسي والاقتصادي وغير ذلك).

والطغيان وتجاوز الحد والإفراط والتطرف يهدد هذه الأنواع جميعاً.

ونحن نعلم أن فرعون يمثل نموذج الطغيان في النصوص القرآنية: ﴿ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴾، ﴿ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴾، فحتى الإيمان يحتاج الى إذن منه: ﴿ قَالَ أَمِنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ أَدْنَىٰ لَكُمْ ﴾، وكان فرعون رمز التهديد للوجود الشعبي والنسل والخلق، يقول تعالى: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يُدَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾.

وكان رمز الاستخفاف بالأمة: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ
إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾.

وربما كان من نافلة القول بعد هذا أن نتحدث عن دور الإسلام
في تحقيق الأمن للإنسان بشتى أنواعه بعد أن عرفنا رفضه لكل
الأساليب الطاغوتية الفرعونية جملة وتفصيلاً.

فهو يعمل على توفير الأمن الأخلاقي من خلال نظامه
الأخلاقي والتربوي: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو
عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ وهو ينفي كل ما يلوث الجو الإنساني
الخلقي عبر تحريمه المفسد الخلقية التي تميت إنسانية الإنسان.

كما يعمل على توفير الأمن الاجتماعي من خلال إقامة البناء
العائلي ونفي كل ما يوجه الغرائز نحو التحلل أو الاشباع
الخطئ، ومن خلال تقديمه نظاماً للعلاقات الاجتماعية المتعالية
ونفيه كل ما يمزق الأمة من مقاييس مادية، كاللون واللغة
والعنصر والقبيلة والجغرافيا وغيرها، وكذلك من خلال ضمانه
لكل حقوق الإنسان في الوجود والكرامة والحرية والضمان
الاجتماعي والاقتصادي، ورفضه كل عوامل التهديم كالبلخ
والغصب وأكل المال بالباطل وتمركز الثروة والإسراف والتبذير
والحرابة والبغي والقتل وغيرها، وكلها تتعاون لتحقيق الهدف،
كما يعمل على ضمان المشاركة الشعبية السياسية من خلال
مبدأ الشورى ومبدأ الولاية المتبادلة وتعميم المسؤولية ولا نريد أن
نستمر في هذا العرض وهو واضح صريح.

اقترحنا لمكافحة الإرهاب على الصعيد الدولي يتلخص بإحلال المساواة ورفع الظلم ومحاربة الفقر... (في المقال تفصيل لهذه الاقتراحات).

الحل على مستوى الأمة

إن الحل على مستوى الأمة يكاد يكون من الواضحات ويتركز على مايلي:

أولاً: رفع مستوى الوعي لدى جماهير أمتنا في مختلف المجالات (فهم الإسلام وأهدافه، فهم الواقع القائم، فهم الموقف).

ثانياً: العمل على تعميم تطبيق الشريعة الإسلامية في كل الشؤون الحياتية.

ثالثاً: تطبيق عملية تربية شاملة لمختلف قطاعات الأمة وفق تعاليم الإسلام.

رابعاً: العمل بكل ما من شأنه توحيد موقف الأمة عملياً، ولا نريد لهذا العمل أن يكون خيالياً، كما لا نريده أن يكون استسلامياً بل يجب أن يتبع المنهج الوسطي الواقعي على ضوء الأهداف المرسومة.

خامساً: العمل على تقوية المؤسسات الشمولية الإسلامية وإيجاد مايلزم لإيجاده، ومنحها حرية أكبر في التحرك عبر آليات جديدة وفاعلة وواعدة.

سادساً: وضع خطة شاملة للاستفادة الأفضل من الامكانيات

السياسية والاقتصادية والاعلامية والجغرافية والمادية والطاقات الجماهيرية والعلمية والثقافية وتعبئتها في عملية المواجهة.

سابعاً: العمل على حل، أو تغافل أو تأجيل بعض النزاعات الجانبية أو الثانوية خدمة للهدف الأهم واستجابة لقضية التزاحم في الأولويات.

ثامناً: الشد من أزر الأقليات المسلمة (وتبلغ حوالي ثلث مجموع المسلمين في العالم) بالتأكيد على وجودها أولاً ووحدها ثانياً وهويتها ثالثاً، وتقوية مجالات التلاحم بينها وبين الأمة الأم.

تاسعاً: التركيز على دعم مؤسساتنا الخيرية ومؤسسات الإغاثة والدعوة، وعدم تركها في مهب الريح وعدم انزلاقها في مداخل الخلافات الجانبية والمذهبية والسياسية.

عاشراً: الاحتفاظ بأصالة التعليم واستقلالية المؤسسات التعليمية وعدم الخضوع للضغوط الخارجية لتؤدي دورها المطلوب على وجه أتم.

حادي عشر: الاستفادة الأفضل من المؤسسات والمنظمات الدولية الأخرى غير الحكومية لصالح قضايانا العادلة.

ثاني عشر: الوقوف بحزم وتخطيط في قضايانا المصيرية وأهمها قضية فلسطين. وفي هذا المجال نقترح:

١. تظافر كل الجهود الإسلامية لإفشال خطط العدو الصهيوني لتركيع الشعب الفلسطيني وإنهاء الانتفاضة الباسلة،

- بدعم صموده وانتفاضته الباسلة ومقاومته الشجاعة.
٢. القيام بحملة لدعم من أبناء الشعب الفلسطيني الممتحن وترميم الخراب وتكليف كل دولة غنية بسدّ جانب منه.
٣. ضرورة التأكيد على كون القضية الفلسطينية إسلامية وتعبئة كل الطاقات الإسلامية لذلك.
٤. ضرورة اتخاذ كل الخطوات والاستفادة من كل الإمكانيات القانونية والمحافل الدولية لفضح جرائم الصهيونية.
٥. عدم السماح لأمريكا للاستفراد بالقضية وأمثالها، وعدم الاعتماد على الحلول الأميركية.
٦. لزوم التفكير الجدي للعودة لنظام المقاطعة الشاملة للكيان الصهيوني الغاصب ومن يدعمه بل وتنفيذ المقاطعة الشعبية فوراً.
٧. لزوم تفعيل الدور السياسي لمنظمة المؤتمر الإسلامي في هذا المجال خصوصاً في مجال المطالبة بتنفيذ القرارات الدولية.
٨. لزوم العمل دولياً على وضع تعريف شامل للإرهاب والتفريق بينه وبين المقاومة المشروعة.
٩. ضرورة إعطاء الغطاء الشرعي للمقاومة الفلسطينية.
١٠. لزوم الاستفادة الفعالة من إمكانيات المنظمات غير الحكومية على غرار ماجرى في مؤتمر (دوربان) في جنوب أفريقيا.

مفاهيم يجب تصحيحها

*

الشهيد مرتضى مطهري

• مفهوم التوكل ينبض بالزخم والدفع والحياة • الانحراف في مفهوم
الزهد جاء من المسيحية • الزهد لا يعني أبداً الانفصال عن الحياة
• ليس ثمة لذّة فيما حرّمه الله • الإنسان المسلم يتمتع بلذات الدنيا كما
يتمتع بها غيره.

التوكل

التوكل من المفاهيم التربوية الإسلامية السامية. وهو مثل
سائر مفاهيم الإسلام دقيق و حسّاس وذو حدّين. يمكن أن تكون له
أعظم الآثار الإيجابية على الصعيدين الفردي والاجتماعي، إن
فهم بالشكل الصحيح. ومن الممكن أن ينقلب هذا المفهوم إلى عامل
مثبّط للهمم والعزائم إن شوّه مفهومه الإسلامي الصحيح.

المفهوم القرآني للتوكل ينبض بالزخم والدفع والحياة، ويزيل
عوامل التردّد والتراجع والانهزام والخوف من النفس الإنسانية،
ومتى ما أراد القرآن أن يزيل عوامل الضعف من المحتوى الداخلي
للفضة المسلمة ويقوّي عزميتها وإرادتها وصمودها يطرح مفهوم
التوكل:

❖ - العالم والمفكر المعروف.

﴿وَلَنصَبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ﴾ .
﴿إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ
بضَارِهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ .
﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، إِنَّهُ
لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ .
هذا المفهوم الحيوي للتوكل تبدل مع الأسف بين المسلمين
اليوم إلى تواكل وتقاعس عن العمل والاندفاع.

الزهد

الزهد في اللغة ترك الشيء والرغبة عنه. وفي الاصطلاح يطلق
على ترك الإنسان لشيء يرغب فيه رغبة طبيعية. أي إنَّ صفة
الزاهد لا تطلق على المريض المُعرض عن تناول الطعام ولا على
العُتَيْن المُعرض عن اللذة الجنسية.

الزهد من المفاهيم الإسلامية السامية البناءة التي انحرفت في
أذهان المسلمين، ولعلَّ الانحراف في مفهوم الزهد سرى إلى
المسلمين من المسيحية. فالمسيحية فرّقت بين العمل الدنيوي
والعمل الأخروي، واعتبرت كل ممارسة عملية للإنسان مع
الطبيعة والحياة عملاً دنيوياً، بينما أطلقت على الطقوس المعزولة
عن كل ممارسة حياتية اسم العمل الأخروي أو العبادة. وها
هو "المنجد" بين أيدينا يعبر عن هذه النظرة المسيحية إذ يقول: زَهْدٌ

في الدنيا، أي تخلّى عنها للعبادة. وتزهد: تَرَكَ الدنيا للعبادة.

هذا المفهوم المنحرف عن الزهد ليس بجديد على المدرسة المسيحية، فقد ظهر فيها يوم ظهرت فيها الرهبانية التي قال عنها القرآن الكريم: ﴿ورهبانية ابتدعوها﴾. والإسلام رفض هذه الرهبانية حين وصفها القرآن الكريم بأنها بدعة، وقال عنها رسول الله (ص): "لا رهبانية في الإسلام".

الإسلام يرفض أي انفصال بين العمل الدنيوي والأخروي، ويؤطّر كل نشاطات الإنسان الحياتية بإطار ديني، ويعتبرها عبادة وعملاً أخروياً، إن كان فاعلها يبتغي منها رضا الله.

القدرة الاجتماعية والاقتصادية في يد الإنسان المسلم وسيلة لتحقيق مهمة خلافة الله على وجه الأرض لا وسيلة لاستثمار الآخرين واستضعافهم يقول سبحانه على لسان يوسف: ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾.

ويوسف يستهدف من هذه المسؤولية على خزائن مصر أن يؤدي مسؤوليته الاقتصادية في الحياة، ولا يريد أن يستغل هذه القدرة لمطامعه وأهوائه. وهكذا الإنسان الإلهي يسخر طاقاته في سبيل الصالح العام، ويستثمر كل قدراته على طريق أداء مسؤوليته الإلهية، بل عليه أن يحصل على القدرة اللازمة لأداء هذه المسؤولية.

علماء الإسلام افتوا بحرمة الخدمة في جهاز الحاكم الجائر، لكنهم أفتوا أيضا بجواز تولي منصب في هذا الجهاز إن كان الهدف إنقاذ المظلومين وخدمة الناس، بل أفتى بعضهم باستحباب ذلك وبوجوبه.

وعلى المستوى الاجتماعي، أوجب الإسلام ارتفاع المجتمع المسلم في قوته إلى مستوى يبعث الرهبة في قلوب أعداء الكيان الإسلامي: ﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾.

الزهد في الإسلام لا يعني على الإطلاق الانفصال عن الحياة، والابتعاد عن كسب القدرة اللازمة لأداء المسؤوليات الإلهية على ظهر الأرض، بل يعني الارتفاع عن الانشداد البهيمي بالأرض، والترفع عن ممارسة القدرة في سبيل الاستثمار والاستضعاف، يعني بعبارة أخرى تحوّل الممارسات الحياتية إلى وسيلة للارتقاء على طريق المثل الأعلى الحق. ومن هنا تصبح الدنيا عند الإنسان الزاهد وسيلة لا غاية. لا يحس بالفشل والانكسار إن فقد متاعها، ولا ينبهر بها ولا يقع في أسرها إن انفتحت أمامه كنوزها.

وهذا ما أراده أمير المؤمنين علي (عليه السلام) إذ قال: الزهد بين حكمتين في القرآن: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾.

لذات الدنيا

تكررت في النصوص القديمة عند الحديث عن الزهد عبارة
الإعراض عن لذات الدنيا والإعراض عن طيبات الدنيا.

ابن سينا يقول في النمط التاسع من الإشارات: المعرض عن
متاع الدنيا وطيباتها يسمّى زاهداً.

مثل هذه العبارات توحي أن الإسلام يقرر نوعين من اللذات:
الدينيّة والأخرويّة، وتوحي أن الإنسان مخير أمام واحد من هذين
النوعين من اللذات، إما الدينيّة وإما الأخرويّة. لكن هذا التصوّر
عن اللذة مرفوض في الإسلام.

الإمام علي (عليه السلام) يقول:

"إنّ المتقين ذهبوا بعاجل الدنيا وآجل الآخرة، فشاركوا أهل
الدنيا في دنياهم ولم يشاركوا أهل الدنيا في آخرتهم، سكنوا الدنيا
بأفضل ما سكنت، وأكلوها بأفضل ما أكلت".

أي إن الإنسان المسلم يتمتع بلذات الدنيا كما يتمتع غيره،
لكن هذا التمتع مؤطّر بما فرضه الله من حدود، ومترفع عن
الانشداد البهيمي بالأرض والمتاع. أي إنه بعبارة أخرى يبتعد عمّا
حرّم الله.

وهنا تجدر الإشارة إلى أن القرآن يذهب إلى أن اللذة الحقيقية
تكمن فيما أحل الله، وليس ثمة لذّة واقعية فيما حرّم الله وإن

خالها الإنسان أنها لذّة.

يقول تعالى: ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ﴾.

فما حرم الله ليس بلذّة بل هو الوبال والخبيث بعينه، ولم يحرم
تعالى على عباده شيئاً من الطيبات الحقيقية: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ
اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾، ﴿ أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا
مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً ﴾ .

ليس هناك لذّة دينية إذن تحرم الإنسان من لذّات الآخرة، بل
هي المحرّمات التي يخال مرتكبها أنها لذّة وما هي بلذّة.
وليست هناك لذّة محرّمة مازال المتمتع بها وقافاً عند حدود
الله، ومنشداً إلى خط الدين التكاملي المتسامي.

كانت المساجد والمجامع والمجالس أندية رأياً ونقاش
وجدل ذهبوا فيها مع الحرية الفكرية والنشاط العقلي إلى
مدى بعيد جعلهم يخوضون حتى فيما نهوا عن الخوض
فيه من البحوث العقيمة، والمسائل التي لا تتصل بها فوائد
عملية، وساعد على اتساع دائرة هذا الجدل امتزاج
الثقافات المختلفة والعلوم الجديدة التي جاءتهم من الأمم
الأخرى حين دخل الناس في دين الله أفواجاً من كل جنس
ولون حاملين معهم قضايا تفكيرهم وأساليب منطقهم
وجدلهم.

من البيان الأول لجماعة التقريب

الكرامة الإنسانية

*

عبدالعزیز بن عثمان التویجری

• المسؤولية والحرية ترتبطان في المنظور الاسلامي بالكرامة الإنسانية
• الإنسان في المبادئ الإسلامية سيد نفسه في كنف عبوديته لله
• الإسلام جعل التقوى أعلى درجات تكريم الإنسان • التوحيد دعوة
• الإنسان إلى الكرامة والحرية • استرجاع كرامة الأمة يتحقق في عودتها
• إلى دينها • تسترجع الأمة كرامتها حين تتوفر الشروط الإنسانية
والطبيعية الملائمة للتحول.

إن الكرامة الإنسانية ترتبط في المفهوم الإسلامي بالحرية وبالمسؤولية، فهي ليست كرامة بدون دلالة عملية تنعكس في سلوك الفرد ومعاملته لأعضاء الأسرة البشرية. ولعل من أعمق البحوث التي عرضت لهذا الجانب من الكرامة الإنسانية ما كتبه عباس محمود العقاد في كتابه "الإنسان في القرآن"، حيث يقول: "إن مكان الإنسان في القرآن الكريم، هو أشرف مكان له في ميزان العقيدة، وفي ميزان الفكر، وفي ميزان الخليقة التي توزن به طبائع الكائن بين عامة الكائنات، هو (الكائن المكلف)، وهو أصوب في التعريف من قول القائلين (الكائن الناطق) وأشرف في التقدير" (العقاد، الموسوعة، ٢٣٢/٤).

❖ - المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو).

إن المسؤولية والحرية ترتبطان في المنظور الإسلامي بالكرامة الإنسانية ارتباطاً وثيقاً؛ فالله تعالى الذي كرم بني آدم، هو الذي جعل الإنسان مسؤولاً عن عمله، فرداً وجماعة، لا يؤخذ واحد بوزر واحد، ولا أمة بوزر أمة؛ ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾، ﴿لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾، ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾، ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾، ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾. فهي إذن، كرامة إنسانية مسؤولة تنبع من إحساس المرء بوجوده الحر، وبذاتيته المتفردة، تترتب عليها تبعات، إن نهض بها صاحبها على النحو الذي يرضي الله أولاً ثم يرضي ضميره، كان منسجماً مع كرامته، مستمتعاً بها، موفياً لها حقها من المراعاة والاعتبار، ومن الحفاظ والصون.

لقد جعلت المبادئ الإسلامية الإنسان سيد نفسه في كنف عبوديته لله، فهو مخلوق مكرم، استخلفه الله في الأرض لتعميرها، وليعبد الله بأنواع الطاعات والعبادات التي لا تعد ولا تحصى، فالإنسان المؤمن يعبد الله في كل الأحوال، بعقله وضميره، وبقلبه وجوارحه. ومن عبوديته لله، ومن طاعته للذات الإلهية وعبادته لها، يستمد الإنسان إحساسه العميق بالكرامة، وشعوره بالاعتزاز والارتياح والرضا والطمأنينة لفعله الخيرات، ولإقباله على الطاعات.

وهذا الشعور هو نعمة تغمر قلب الإنسان المؤمن، وتفيض بها روحه، وتحيش بها جوارحه كلها.

إن الإسلام كرم الإنسان حين جعل شرف الإنسانية يتمثل أولاً
وآخرًا في صلتها بالله، واستمدادها منه، وتقيدها بشرائعه ووصاياه.
والحرية الحقيقية (التي هي جوهر الكرامة الإنسانية) ليست في
حق الإنسان أن يتدنس إذا شاء ويرتفع إذا شاء، بل الحرية أن
يخضع لقيود الكمال، وأن يتصرف داخل نطاقها وحده. وقيود
الكمال هذه تضعنا على الطريق إلى الله، طريق الكمال،
والتصفية، والتحول عن مواطن الغفلة والركود، إلى مواطن
الذكر والحرية، والسير في ميادين النفوس سيراً وجهته الله
وعدته صالح الأخلاق والأعمال، وشاراته التوبة والرغبة إلى الله
والورع والعفة والقناعة والصبر والشكر والخوف والرجاء والتوكل
والحب. (الغزالي، الجانب العاطفي من الإسلام/ ١٧٥ - ٢٩٧).

إن الإسلام جعل أعلى درجات التكريم والإكرام للإنسان هي
التقوى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾، ولذلك فكرامة
الإنسان هي في تقربه إلى الله، باتباع تعاليم دينه ووصاياه،
وباجتناب نواهيه وما حرّمه على عباده. وهذا السلوك المستقيم
السوي هو عين التقوى، إذ ليست التقوى شيئاً مجرداً، ولكنها
إيمان وعمل وسلوك وممارسة وإقبال على فعل الطاعات
والحسنة. وكلما أوغل الإنسان في هذه الطريق السالكة المؤدية
إلى رضا الله على عبده، كان أوفر كرامة، تفيض عليه، وتغمره،

وتملاً نفسه رضاً وسكينَةً وطمأنينة وثقة في الله.

وللشيخ محمود شلتوت تعريف لطيف وبصير للتقوى في تفسيره حيث يقول: "أما تقوى الله تعالى، فهي ترفع في معناها العام إلى اتقاء الإنسان كل ما يضره في نفسه وفي جنسه، وما يحول بينه وبين المقاصد الشريفة والكمال الممكن في الدنيا والآخرة. والتقوى ليست خاصة بنوع من الطاعات، ولا بشيء من المظاهر، وإنما هي كما قلنا، اتقاء الإنسان كل ما يضره في نفسه وفي جنسه، وما يحول بينه وبين الكمال الممكن. ومن ثمرات التقوى حصول الفرقان: (ما يفرق به المرء بين الخير والشرّ والضرّ والنافع في هذه الحياة) فالعلم الصحيح، والقوّة، والعمل النافع، والخلق الكريم، وما إلى ذلك هو من آثار التقوى، والتقوى هي الشجرة، والفرقان هو الثمرة" (شلتوت - تفسير القرآن الكريم/ ٥٧١) .

إن الإسلام دين الحياة، وهو بذلك يدعو الإنسان إلى أن يمارس هذه الحياة بالحضور والمساهمة والإنتاج، وإلى أن يكون هذا الحضور متسمّاً بالعرّة والكرامة والشرف، مما لا يمكن أن يتحقّق إلا بالحرية التي هي في طبيعة حقوق الإنسان، والتي تعدّ في الرؤية الإسلامية، قيمة كبرى، سواء بالنسبة للفرد أو الجماعة (عباس الجراري، الإنسان في الإسلام/ ٦٩) .

إن أعظم تكريم للإنسان، في المنظور الإسلامي، أن هداه الله إلى

التوحيد. ومن التوحيد دعوة الإسلام الى الكرامة والى الحرية. والتوحيد هو تحرير الإنسان من الشرك، ومما يقذفه الشرك في قلب المرء من شعور بالهزيمة والسقوط؛ سقوط القيمة والهمّة والاعتبار، وسقوط الشخصية المعنوية والكرامة الإنسانية. ولما كانت كرامة الإنسان في التوحيد، وكان التوحيد هو تحرير الإنسان من الشرك بكل معانيه ودلالاته، فإن الكرامة الإنسانية تتجلّى أسطع وأقوى ما يكون التجلّي في:

١- مقاومة عبادة الأصنام والأوثان، (بكل أشكالها وأنواعها).

٢- محاربة الخضوع للأهواء والنزوات، (بجميع أصنافها

وأضرابها).

٣- منع الانسياق لطغيان المال، (على أي وجه من الوجوه).

٤- الوقوف ضد استعباد الإنسان للإنسان، (أيًا كانت الأسباب

والدواعي)....

من هذه الزاوية ننظر اليوم إلى واقع العالم الإسلامي، وإلى ما تعيشه الأمة الإسلامية من أوضاع عامة. ومهما تحلينا بفضيلة ضبط النفس، وجنحنا نحو التفاؤل، فلن نملك أنفسنا من الاعتراف بأن كرامة الأمة قد مسّها الضر، فهي كرامة مثلوبة، ومهضومة، ومجروحة، تضافرت عوامل كثيرة لتؤدي إلى هذه الحالة من الضعف والعجز والتراجع الحضاري.

إن استرجاع الكرامة الوافرة للأمة الإسلامية، يكمن في عودتها إلى دينها تستلهم منه أسس التقدم في الحياة. وإذا ترجمنا هذا المبدأ العام إلى لغة العصر، فيمكن لنا أن نقول إن ردّ الاعتبار للعقل الاسلامي حتى يسود ويقود الأمة نحو المستقبل، ينبغي أن يكون عملية جماعية، وجهداً مشتركاً بين جميع مكونات الأمة الإسلامية في إطار التضامن الإسلامي، ومن منطلق الإيمان بأن كرامة الأمة في تقدّمها وازدهارها، فهناك شبه إجماع بين مفكري الأمة على أن أبرز السمات الاستراتيجية للعقل الإسلامي المستقبلي هي: التقدم، الإبداع، التجذّر، التمثيل، العقلانية، التنظيم والفعالية والالتقان، الحرية والمسؤولية والمشاركة، التكيف (فهومي جدعان، الماضي في الحاضر / ٥٦٣).

والسؤال الذي ينبغي أن نطرحه على أنفسنا في هذه المرحلة، هو: كيف السبيل إلى إجراء تحويل واقعي لهذه السمات المجردة؟ إن ذلك لن يتم إلا بخلق الشروط الإنسانية والطبيعية الملائمة للتحويل. والعملية ليست يسيرة بكل تأكيد، وهي حصيلة تضافر فعال وتضامن إيجابي لجهود وإسهامات وتدخلات تصدر عن أطراف متباينة. ونحن مدعوون إلى أن نردّ الاعتبار للإنسان في العالم الإسلامي، باحترام حقوقه كاملةً غير منقوصة، في إطار ما تقضي به وتوجيه المبادئ الإسلامية، وبتوفير سبل العيش الكريم

له في كنف الحرية والمسؤولية والشعور بالكرامة، على المستويين الذاتي والموضوعي.

إن عملنا من أجل إقرار مبادئ الإسلام في واقع الحال، هو الشرط الأول لحفظ الكرامة الإنسانية للمسلمين كافة، وللبشرية جمعاء. وذلك في إطار من التسامح والتعاون والاحترام المتبادل، وفي ضوء الحوار الحضاري بين ثقافات شعوب الأرض وأممها.

إن مجالات العمل تتشعب وتمتد أمامنا، وميادين الحركة تتعدّد وتشمل جميع مرافق الحياة، وينبغي أن نسلك نحو تحقيق أهدافنا نهجاً تكاملياً، تضبطه وتتحكم في اتجاهاته قواعد العمل الإسلامي المشترك ومبادئ التضامن الإسلامي. ونحن نعتقد أن العمل في إطار منظمة المؤتمر الإسلامي، وما يتفرع أو ينبثق عنها من منظمات ومؤسسات وهيئات وجامعات، هو الإطار الأنسب لهذا التحرك الذي نحن مدعوون جميعاً إلى القيام به على شتى المستويات، لإقرار مبادئ الإسلام في حياة الأمة، بما يحقق القدر المطلوب من التضامن والتكامل والترابط بين أجزائها، وبما يؤدي إلى ازدهار الحياة ازدهاراً شاملاً تحفظ فيه للإنسان المسلم كرامته موفورة وحقوقه مصانة.

نهج البلاغة

• بكلام عليّ استعان كل خطيب • انصبّ اهتمام الإمام على تربية الأمة
• كلام عليّ هو فيض العبقريّة الذي يقصر عنه النقد ولا يحيط به
التحليل • يشدّد الإمام على الولاة أن يكسروا ذاتياتهم الضيقة وأن
يذوبوا في الله وفي خدمة عباد الله • يمثل الوصف أروع جانب أدبي
في نهج البلاغة.

نهج البلاغة كتاب جمعه الشريف الرضي محمد بن أبي أحمد
الحسين الهاشمي العلوي (ت ٤٠٤هـ) واختاره وانتخبه من كلام
أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ويدور على ثلاثة أقطاب، أولها:
الخطب والامور، ثانيها: الكتب والرسائل، ثالثها: الحكم
والمواعظ.

وهذا الكتاب بحاجة إلى أن يقف عنده الدارسون لثراء صدر
الإسلام للأسباب التالية:

- ١- بخس كثير من مؤرخي الأدب حقّ هذا الكتاب، بعد أن
شكّكوا في صحّة انتسابه الى علي وبذلك فوّتوا على الدارسين
فرصة الاطلاع على مصدر عظيم من مصادر الأدب العربي.
- ٢- لم يُدوّن لأحد من فصحاء الصحابة العُشْرُ ولانصف العُشْر
مما دُوّن لعليّ بن أبي طالب.

٣- إن الأدباء والكتّاب قديماً وحديثاً اعترفوا بعظمة أسلوب الإمام وتأثيره فيهم. عبد الحميد بن يحيى الكاتب (الذي يقال إن الكتابة بدأت به) سُئل عمّا مكّنه من البلاغة فأجاب: حفظت سبعين خطبة من خطب الأ صلح (أمير المؤمنين علي) فغاضت ثم فاضت. وعبد الحميد هذا من الموالين لبني أمية.

وقال ابن نباته: حفظت من الخطابة كنزاً لا يزيدُه الإنفاق إلا سعة وكثرة، حفظت مائة فصل من مواعد علي بن أبي طالب.

وقال ابن أبي الحديد شارح نهج البلاغة: أما الفصاحة فهو (عليه السلام) إمام الفصحاء وسيّد البلغاء.

وقال الأديب الشاعر العالم الشريف الرضي: كان أمير المؤمنين (عليه السلام) مَشْرَع الفصاحة وموردها، ومنشأ البلاغة ومولدها، ومنه ظهر مكنونها، وعنه أخذت قوانينها، وعلى أمثلته حذا كل خطيب وكلامه استعان كل واعظ بليغ، ومع ذلك فقد سبق وقصّروا، وتقدّم وتأخّروا، لأن كلامه الكلام الذي عليه مَسْحَة من العلم الإلهي، وفيه عبقة من الكلام النبوي. الى أن قال: إن هذه الفضيلة انفرد ببلوغ غايتها من جميع السلف الأولين الذين إنما يُوَثَّر عنهم منها القليل النادر، والشاذ الشارد. فأما كلامه (عليه السلام) فهو البحر الذي لا يُساجل، والجَمّ الذي لا يُحافل.

وقال الشيخ محمد عبده: لا أعلم اسماً (نهج البلاغة) أليق

بالدلالة على معناه منه. وليس في وسعي أن أصف هذا الكتاب
بأزيد مما دلّ عليه اسمه.

وقال: إن للبلاغة دولة، وللفصاحة صولة.. الى أن قال: وإن مدبر
تلك الدولة وباسل تلك الصولة، هو حامل لوائها الغالب، أمير
المؤمنين علي بن أبي طالب.

أهمّ موضوعات نهج البلاغة

١- التربية الدينية العامة

لاشك أن اهتمام الإمام انصبّ في حياته عامة وبعد عصر
النبوة خاصة على تربية الأمة وشدها بالله وتذكيرها باليوم
الآخر، فهي مهمّة الإمامة الأولى. وفي النهج فقرات منقطعة
النظير في وصف الله سبحانه ونبيه الكريم وفي تحليل عالم الفناء
وتصوير ما وراء هذه الحياة. وهذه الموضوعات - وإن لم تكن جديدة -
ولكن الإمام خلع عليها من الجلال والرونق ما يثير دهشة الناقد
وإعجابه كما يقول الدكتور محمد مهدي البصير (عصر
القرآن / ٣٥).

وأفضل مثال على هذا اللون من كلام علي الخطبة الأولى في

نهج البلاغة، حيث يقول الإمام:

الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون، ولا يحصي نعماءه
العادون، ولا يؤدي حقه المجتهدون، الذي لا يدركه بعد الهمم،

ولايئاله غوصُ الفطن، الذي ليس لصفته حدٌ محدود، ولا نعت موجود، ولا وقت معدود، ولا أجل ممدود، فَطَرَ الخلائق بقدرته، ونَشَرَ الرياح برحمته، ووَتَّدَ بالصخور ميدان أرضه.

أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه...».

ثم يذكر بعد ذلك خلق العالم وخلق الملائكة وخلق الإنسان وإرسال الأنبياء.. في تسلسل متقن وتعبير رائع تكثر فيه ألوان الفنون البلاغية، ويصل به سياق الحديث الى ذكر خاتم الأنبياء، فيذكر الناس بفضل النبي ومكانته ومسؤوليتهم تجاهه.

ولا يمكن لدراس في أسلوب الإمام التربوي أن يغفل عن خطبة ألقاها بعد تلاوة (أهاكم التكاثر) قال:

«يا له مَرَامًا ما أبعدَه! وِزْورًا ما أغفله! وخطراً ما أفضعه! لقد استخَلُّوا منهم أيُّ مدِّكرٍ وتناوشوهم من مكان بعيد! أفبمصارع آبائهم يفخرون؟! أم بعديد الهلكى يتكاثرون؟! يَرْتَجِعُونَ منهم أجساداً حَوَتْ، وحركات سَكَنْتْ، ولأن يكونوا عبِراً أحقَّ من أن يكونوا مُفْتَحِرًا، ولأن يهبطوا بهم جَنَابِ ذِلَّةٍ أحجى من أن يقوموا بهم مقام عِزَّةٍ! لقد نظروا إليهم بأبصار العِشْوَةِ وضربوا منهم في غمرة جهالة، ولو استنطقوا عنهم عرصات تلك الديار الخاوية، والربوع الخالية، لقات: ذهبوا في الارضِ ضالًّا، وذهبتم في أعقابهم جُهَّالًا، تطأون في هامهم، ونَسْتَنِبِتُونِ في أجسادهم،

وتَرْتَعُونَ فِيهَا لَفْظًا ، وتسكنون فيما حَرَبُوا، وإِنَّمَا الْأَيَّامُ بَيْنَكُمْ
وَبَيْنَهُمْ بَوَاكٍ وَنَوَاحٍ عَلَيْكُمْ...» .

وعلق الناقد الدكتور البصير على هذه الخطبة بالقول:

«إننا نستطيع أن نقول في وصف هذه الخطبة أنها فصيحة
الألفاظ، قصيرة الجمل، كثيرة المجاز والطباق، عامرة بالاستعارات
والتشابه، على أنها بريئة كل البراءة من التعمّل والتكلف، ولكن
قد تجتمع هذه العناصر كلّها في كلام دون أن تكسبه
هذه الروعة التي نجدها في هذه الخطبة؛ وذلك هو فيض
العبقرية الذي يقصر عنه النقد، ولا يحيط به التحليل..»
(عصر القرآن/ ٣٥ - ٣٦).

٢- تربية الولاة والحكام

هذا موضوع يكاد ينفرد فيه الامام، ويمثّل قمة من قمم فكر
الإسلام ونهجه الحضاري في مجال الحكم والإدارة. ولأهمية دور
الحاكم في سلامة المسيرة الاجتماعية يشدّد الإمام في عهوده الى
ولاته على كسر ذاتياتهم الضيقة، والذوبان في ذات الله، والانغمار
في الخدمة الاجتماعية، ويحدّثهم من الظلم والطغيان،
والاستثناء، والإفراط والتفريط. وأروع مثال على ذلك كتابه
للأشتر النخعي لما ولّاه على مصر وأعمالها يقول الإمام في بداية
كتابه:

«هذا ما أمر به عبد الله عليّ أمير المؤمنين، مالك بن الحارث

الاشتر في عهده إليه، حين ولّاه مصر: جباية خراجها، وجهاد
عدوّها، واستصلاح أهلها، وعمارة بلادها.

أمره بتقوى الله، وإيثار طاعته، واتباع ما أمر به في كتابه من
فرائضه وسُننه التي لا يسعد أحد إلا باتباعها، ولا يشقى إلا مع
جحودها وإضاعته، وأن ينصر الله سبحانه بقلبه ويده ولسانه،
فانه - جلّ اسمه - قد تكفل بنصرة مَنْ نَصَره، وإعزاز من أعزّه.

وأمره أن يكسر نفسه من الشهوات، ويَزَعها عند الجَمَحَات، فإن
النفس أمارة السوء، إلا مارحم الله..».

ويعلم الإمام واليه سبيل التعامل مع الناس ويقول:

«وأشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبة لهم، واللفظ بهم
ولا تكوننّ عليهم سبُعاً ضارياً تغتمنّ أكلهم، فانهم صنفان: إما أخ
لك في الدين، أو نظير لك في الخلق..»

«إياك ومساماة الله في عظمته، والتشبه به في جبروته، فإن الله

يُدلّ كلّ جبار، ويهين كلّ مختال.

أنصف الله وأنصف الناس من نفسك، ومن خاصة أهلِكَ،
ومن لك فيه هوى من رعيّتك، فانك إلاّ تفعل تظلم، ومن ظلم
عباد الله كان الله خصمه دون عباده. ومن خصمه الله أدحض
حجّته، وكان لله حرباً حتى ينزع أو يتوب، وليس شيء أدعى الى
تغيير نعمة الله وتعجيل نِقْمته من إقامة على ظلم، فإن الله سميع
دعوة المضطهدين، وهو للظالمين بالمرصاد..»

«ولا يكوننّ المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء، فإن في ذلك تزهيداً لاهل الإحسان في الإحسان، وتدريباً لأهل الإساءة على الإساءة، وألزم كلاً منهم ما ألزم نفسه...»
«وأكثر مدارس العلماء، ومناقشة الحكماء، في تثبيت ماصح عليه أمر بلادك، وإقامة ما استقام به الناس قبلك...».

٣- الشكوى والعتاب

من الطبيعي أن يكثر في كلام علي النقد والتعريض والشكوى والعتاب، فالظروف التي تلت وفاة الرسول قد عاكسته. لقد كان يشعر بالألم مما يراه من انحرافات بدأت بالظهور في المجتمع الإسلامي ثم من الفتن التي برزت في عصر خلافته.

وفي الخطبة المعروفة بالشقشقية يتحدث عن صبره على ما رآه من انحراف في المجتمع الإسلامي بعد وفاة النبي ويقول:

«وظفقت أرتئي بين أن أصول بيد جداء، أو أصبر على طخية عمياء، يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه. فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى، فصبرت وفي العين قذى، وفي الحلق شجا، أرى تراثي نهبا...».

ويذكر بعد ذلك إصرار الناس بعد مقتل عثمان على مبايعته بالخلافة، ثم تفرق «الناكثين» و«المارقين» و«القاسطين» عنه، ويقول:

«فما راعنى إلا والناس كعُرفِ الضَّبْعِ اليّ، ينثالون عليّ من كلّ جانب، حتى لقد وطئ الحسنان وشقَّ عطفائي، مجتمعين حولي كربيضة الغنم. فلما نهضتُ بالأمر نكثت طائفة، ومَرَقَت أخرى، وقَسَطَ آخرون. كأنهم لم يسمعوا الله سبحانه يقول: ﴿ تَلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾، بلى، والله لقد سمعوها ووعوها، ولكنهم حليت الدنيا في أعينهم وراقهم زبرجُها.

أما والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء إلا أن يقاتروا على كِظّةِ ظالم، ولا سَغَبٍ مظلوم لألقيت حبلها على غاربها ولسقيت آخرها بكأس أولها، ولألفيتم دنياكم هذه أزهدُ عندي من عفتة عنز».

ويبيّن الإمام حيرته تجاه ما حدث بعد الرسول أيعلن رفضه أم يسكت. ولكنه أثر السكوت كي لا تنشب فتنة تهدد وجود المجتمع الإسلامي الوليد، وحين خاطبه العباس وأبو سفيان في أن يبایعا له بالخلافة نهى عن الفتنة، وأكد أن سكوته ليس عن خوف بل عن علم عميق وفهم مستوعب لمصلحة الاسلام والمسلمين وقال:

«أيها الناس، شقوا أمواج الفتن بسفن النجاة، وعرجوا عن طريق المنافرة، وضعوا تيجان المفاخرة. أفلح من نهض بجناح، أو استسلم فأراح. هذا ماء آجن ولقمة يغصّ بها أكلها، ومجنتي

الثمرة لغير وقتٍ إيناعها كالزراع بغير أرضه .

فإن أقل يقولوا: حرّصَ على الملك. وإن أسكت يقولوا: جرّع من الموت! هيهات بعد اللتيا والتي! والله لابن أبي طالب أنسُ بالموت من الطفل بثدي أمه، بل اندمجتُ على مكنون علم لو بُحِتُ به لاضطربتم اضطراب الأرشية في الطويّ البعيدة» .

وأشدّ شكوى تصدر عن الإمام حين يسمع نبأ اعتداء قوات معاوية على المناطق الإسلامية وانتهاكم حرّمات المسلمين دون أن تستشير هذه الأنبياء غيرة المسلمين ودون أن تدفعهم الى صدّ المعتدين يقول:

«ألا وإني قد دعوتكم الى قتال هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً وسراً وإعلاناً، وقلت لكم: اغزوهم قبل أن يغزوكم. فوالله ما غزى قوم قطّ في عُقر دارهم الا ذلّوا . فتواكلتم وتخاذلتم حتى شنت عليكم الغارات، ومُلكت عليكم الأوطان» .

وفي النهج أيضا يشكو الإمام من خيبة أمله في الإصلاح المطلوب، ومن رعاء الناس الذين يتبعون كل ناعق، ومن انتقاض أحكام الله وعهوده، ومن سيطرة بعض الولاة الظلمة على أجزاء من بلاد المسلمين.

٤- الوصف

يمثل الوصف أروع جانب أدبي في نهج البلاغة. والإمام في وصفه

يتحرى الدقة والجمال والتأثير. وخطب الوصف «تبوءً علياً ذروة
لأشسامى بين عباقرة الوصّافين في القديم والحديث» كما يقول
الدكتور صبحي الصالح (مقدمة نهج البلاغة/١٢).

يصف المتقين وصفاً يصقع له همام صعقة كانت نفسه فيها،
يبين في خطبته فضائل المتقين: منطقتهم، وملبسهم، ومشيمهم،
وأبصارهم، وأسماعهم، وخشيتهم، وسلوكهم، وقيام ليلهم،
وعلاماتهم، نورد مقتطفات منها:

«... فالمتقون فيها هم أهل الفضائل . منطقتهم الصواب،
وملبسهم الاقتصاد، ومشيمهم التواضع، غضوا أبصارهم عما حرم
الله عليهم، ووقفوا أسمعهم على العلم النافع لهم. نُزِلت أنفسهم
منهم في البلاء كالتي نُزِلت في الرّخاء. ولولا الأجل الذي كتب
الله عليهم لم تستقرّ أرواحهم في أجسادهم طرفة عين شوقاً الى
الثواب، وخوفاً من العقاب. عظم الخالق في أنفسهم ، فصعُر
مادونه في أعينهم، فهم والجنة كمن قد رآها فهم فيها مُنعمون،
وهم والنار كمن قد رآها، فهم فيها مُعذبون. قلوبهم محزونة،
وشرورهم مأمونة، وأجسادهم نحيفة، وحاجاتهم خفيفة، وأنفسهم
عفيفة..»

ويصف المنافقين بدقة متناهية تستوعب كل خصالهم العملية
والنفسية ويقول:

«.. قلوبهم دويّة، وصفحهم نقيّة، يمشون الخفاء، ويديبون

الضراء، وصفهُم دواء، وقولهم شفاء، وفعلهم الداء العيَاء، حَسَدَة
الرخاء، ومؤكدوا البلاء، ومقنطوا الرجاء، لهم بكلّ طريق صريع،
والى كلّ قلب شفيح، ولكلّ شجو دموع، يتقارضون الشاء،
ويتراقبون الجزاء، إن سألوا ألحفوا، وإن عدلوا كشفوا، وإن حكموا
أسرفوا...» .

على أن المهم في أدب الإمام (عليه السلام) تصويره الحسيات،
كما يقول الدكتور صبحي الصالح. وقد اشتمل كلامه على
أوصاف عجيبة لبعض المخلوقات كما في تصويره البارع للنملة
والجرادة والطاووس.

يقول في النملة:

« انظروا الى النملة في صغر جثتها، ولطافة هيئتها، لا تكاد تُنال
بلحظ البصر، ولا بمستدرك الفكر، كيف دبّت على أرضها، وصبّت
على رزقها، تنقل الحبة الى حُجرها، وتُعدّها في مستقرها، تجمع
في حرّها لبردها، وفي وردها لصدّيها، مكفولة برزقها، مرزوقة
بوقفها، لا يغفلها المتّان، ولا يحرمها الديّان، ولو في الصفا اليابس،
والحجر الجامس.

ولو فكّرتَ في مجاري أكلها، وفي علوها وسفلها، وما في الجوف
من شراسيف بطنها، وما في الرأس من عينها وأذنها، لقضيت من
خلقها عجباً، ولقيت من وصفها تعباً...» .

ويقول في الجرادة:

«... وإن شئت قلت في الجرادة، إذ خلق الله لها عينين حماروين، وأسرج لها حدقتين قماروين، وجعل لها السمع الخفي، وفتح لها الفم السوي، وجعل لها الحس القوي، ونابين بهما تقرض، ومنجلين بهما تقبض. يرهبها الزُّراع في زرعهم، ولا يستطيعون ذبها ولو أجلبوا بجمعهم، حتى ترد الحرث في نزواتها، وتقضي منه شهواتها، وخلقها كله لا يكون إصبعاً مستدقة...».

يضم نهج البلاغة موضوعات أخرى مثل الحث على الجهاد والالتزام بالقرآن والأحكام الشرعية والوصايا والأمر العسكري وغيرها من الموضوعات التي تمثل بمجموعها شخصية علي في جوانبها السياسية والاقتصادية والفكرية والاجتماعية والإدارية والأدبية. وكلها تستحق دراسة مستفيضة معمقة في الأسلوب والمضمون.

إن أهم خطوة قامت بها الإمبريالية تجزئة الوطن الإسلامي الكبير إلى بلدان صغيرة ذات توجهات وطنية ضعيفة، وأما الوطن الإسلامي الكبير فأهمل أمره. وبذلك استطاع الاستعمار أن يحطم صرح الوحدة التي بناها الإسلام العزيز، الوحدة التي لا يعرف فيها للعنصر والدم واللون واللغة أي وزن وأي قيمة، فالجميع يرفع شعاراً واحداً.

من رسالة سيد قطب إلى آية الله الكاشاني

التقريب بين المذاهب الإسلامية

في ظل إطار جديد

*

أحمد كمال أبو المجد

• في عصرنا تهاوت الحواجز بين الشعوب وانهار التوازن الدولي
• الشقاق في هذا العصر أصبح خطيئة كبرى بكل المعايير • من العجيب أننا
نتجه إلى أن نحاور غير المسلمين ونترك الحوار بيننا • ومن العجيب أن كثيراً
من الباحثين يتجنبون الخوض في المشاكل الحقيقية الهامة إشفافاً
على أنفسهم • إن الغفلة عن مقاصد الشريعة تؤدي إلى العنف لا محالة.

إننا نعيش عصرًا جديدًا بكل المعايير، وليس صحيحاً ما يحتاج به البعض من أن أهل كل عصر يروونه جديداً، ويروونه فاصلاً بين مرحلتين مختلفتين. ذلك أن عصرنا هذا قد شهد خلال نصف القرن الأخير ثورات وقفزات علمية هائلة متعاقبة ومتراكبة في ميادين الانتقال والاتصال والمعلومات، وميادين أخرى عديدة من ميادين العلم والصناعة وأدوات الحرب والقتال، ترتب عليها أمران خطيران:

أولهما: أن الحواجز بين الناس والشعوب قد تهاوت، بعد أن طوى العلم المسافات، فالتقى ماء الحضارات المختلفة على أمر قد قدر.

❖ - كاتب ومفكر مصري.

ولم تعد عزلة البعض عن البعض ممكنة، حتى لو كانت في نظر البعض جائرة أو نافعة، وصار أبناء الثقافات المختلفة يواجه بعضهم بعضاً بلا حاجز ولا وسيط، وبدأ الناس يتساءلون في إشفاق وتوجس: أياكون هذا اللقاء لقاء تعاون على البر والخير وما ينفع الناس، كل الناس، أم يكون لقاء عداوة وصراع ومحاولات ضارية للاستئثار بخيرات الدنيا وثمرات العلم، استئثاراً يستعبد به الآخرون، كل الآخرين؟ لقد زالت الحُجُب والسُّرَّتِي كانت تزيّن لنا نحن المسلمين أن في وسعنا أن نقضي عمرنا كله، وعمر أجيالنا من بعدنا، في حوزة ثقافية مغلقة لا يدخلها علينا أحد إلا برضانا وإذنا. وصار علينا فجأة أن نواجه طوفاناً من «الوافدين»، ناساً من الناس. وأفكاراً غير أفكارنا. وقيماً غير القيم التي أقمنا عليها حياتنا كلها، وأدركنا بها شؤوننا كلها، لقد صار علينا اليوم نحن المسلمين أن نتذكر من جديد ما علّمه الإسلام للمؤمنين به من أول يوم، من أنهم ليسوا وحدهم في هذه الدنيا، وأن تعدّد الأجناس والألوان، واختلاف الألسنة والعقائد والأفكار سُنّة من سنن الله من خلقه وناموس من نواميسه في هذا الكون. وأنه سبحانه أراد بهذا التنوع أن يتبادل الناس الخبرة، وأن يتعاونوا على البر والخير، متسابقين إلى ذلك، ومتنافسين فيه:

﴿ وَكُوفُوا اللَّهَ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾.

ثانياً: أن انهياراً حاداً ومفاجئاً قد وقع في التوازن الدولي مع

بداية العقد الأخير من القرن الماضي . وذلك بسقوط ما كان يسمى المعسكر الاشتراكي الذي كان، بغض النظر عن محتواه الأيديولوجي وناظمه السياسي والاقتصادي، يحقق توازناً في العلاقات الدولية تستفيد منه الدول النامية والصغيرة، وبانهيار ذلك المعسكر انفرد القطب الدولي الأخير بموضع الصدارة والقيادة والقدرة على التأثير المباشر على العلاقات الدولية، مانحاً نفسه حقّ التدخل في شؤون الآخرين، وفرض هيمنتهم عليهم وعلى قراراتهم السياسية والاقتصادية والثقافية. ولقد تمكن هذا القطب الواحد حتى الآن من فرض هيمنته هذه بما كان قد توفّر له، من تقدّم علمي وتقني هائل، وقوة اقتصادية ضخمة، وآلة عسكرية بالغة التقدم والتفوّق.

وإذا كان جائزاً، وهو في الحقيقة غير جائز، أن يشتغل المسلمون بخلافاتهم التاريخية والجديدة في ظل النظام الدولي القديم، وفي ظل إمكان الانسحاب إلى حوزة مغلقة تعفيهم، في ظنهم، من التواصل النشط مع غيرهم من الأمم والشعوب. فإن الاستمرار في هذا «الشقاق» الثقافي والسياسي قد أصبح خطيئة كبرى بكل المعايير، لا يحمل عامة المسلمين إثمها. وإنما يحمله الأمراء والساسة والعلماء.

ومن عجب أن ينتبه كثير من علماء المسلمين وساستهم إلى ضرورة التواصل مع أبناء الحضارات المعاصرة، ساعين إلى تضييق

شقة الخلاف بين المسلمين ومن عداهم، وألا يصاحب ذلك بل يسبقه سعي مماثل لحوار إسلامي إسلامي، يهدف إلى تضيق شقة الاختلاف بين فئات المسلمين وطوائفهم ومذاهبهم ومدارسهم الفكرية المختلفة.

ومما يدهشنا ويؤسفنا أن كثيراً من الباحثين يتجنبون، في هذا المقام، الخوض في المشاكل الحقيقية ذات الوزن، إشفاقاً على أنفسهم من عواقب التعرض لها، مكتفين بالدعوة العامة إلى جمع الكلمة، أو بتناول قضايا تظل ثانوية القيمة والأثر إلى جانب المشاكل الحقيقية الكبرى. ولا شك عندنا في أن أكبر خلافاً يتوزعان المسلمين، في عصرنا هذا، ويبددان طاقة الأمة هما الخلاف العقائدي والمذهبي بين السنة والشيعة. والاختلاف الفقهي بين مدرسة في الفقه تلتزم حرفية النصوص وتتشدّد في تطبيقها ويطلق الناس عليها، وعلى روافدها المختلفة اسماً واحداً لا يكشف عن المضامين والرؤى والمناهج التي تقوم عليها تلك المدرسة، وأعني بذلك مصطلح السلفية الذي يعني في مجال العقيدة وأصول الدين شيئاً، ويعني في ميدان الفقه وأصوله شيئاً آخر، فضلاً عن أنه مصطلح واسع فضفاض تلتقي تحت رايته روافد عديدة بينها من الاختلاف في المنهج المضمون ما لا يفيد معه البتة جمعها تحت مصطلح واحد.

ومدرسة أخرى تبحث عن الغايات الكلية والمقاصد الكبرى

للتشريع، كما تبحث عن أدوات للاجتهد تعين على تحقيق
المصالح المتجددة للأفراد والجماعات، انتباهاً إلى أن الفتوى لا
تكون محققة لتلك المصالح إلا إذا أدخلت في حسابها اختلاف
الأزمنة والأمكنة والأحوال. وأن الغفلة عن مقاصد الشريعة
ومصالح المخاطبين بها مفضية لا محالة إلى وقوع العنف والحرب
اللذين يجافيان روح التيسير التي قام عليها الإسلام كله:
﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾، ﴿ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا
جَعَلَ عَلَيْكُم فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾.

إنّ التمدّهب ظاهرة طبيعية في كل عالم ثقافي
حضاري، وهو مما يتفق مع الفطرة. إنّنا لا نعتبر
التمدّهب، بالمعنى الفقهي، تمزقاً في الإسلام، بل هو
منسجم مع طبيعة اختلاف الأفهام والمدارك والرؤى في
ضمن الإطار الواحد الجامع. إنّ الاختلافات المذهبية أمر
طبيعي، وهي ناشئة من الاختلاف الاجتهادي في فهم
ظواهر الكتاب وفي تقييم السنة، إنّ من حيث الصدور
أو من حيث الظهور.

من أسس الميثاق التأسيسي

لهيئة قضايا الوحدة الإسلامية والتقريب بين المذاهب

المثقفون والبحث

عن الحداثة

*

زكي الميلاد

• الغربيون ينظرون بقلق إلى بلدان الشرق المتطورة • بلدان الشرق تنتمي إلى ثقافات يصعب على الغرب التغلب عليها • اليابان انفتحت على الغرب لكنها لم تتخل عن تراثها وتقاليدها وقيمها • الآسيويون يعتقدون أن ما وصلوا إليه من تقدم هو نتاج للثقافة الآسيوية • المثقفون العرب بحاجة إلى أن يغيروا نظرتهم إلى أنفسهم.

لو فتشنا عمّا يمكن أن نسمّيه بالحدّاثات المغايرة في العالم المعاصر، لوجدنا أن هذا النمط من الحدّاثات موجود بصورة أساسية ومميّزة في مجتمعات مثل اليابان والصين والهند. وهي المجتمعات التي ينظر إليها الغربيون على أنها مجتمعات مختلفة ومغايرة لهويتهم وتقاليدهم وتراثهم وثقافتهم، ويعترفون لها في نفس الوقت بالنمو والنهوض والتقدّم، بالشكل الذي يثير حفيظتهم وقلقهم، حين يرون أن تلك المجتمعات يمكن أن تنافسهم وتنازعهم في المستقبل، وفي امتلاك مفاتيح المستقبل.

❖ - باحث من المملكة العربية السعودية، رئيس تحرير مجلة "الكلمة".

والسؤال: ما الذي جعل هذه المجتمعات تكوّن لها أحداثا مغايرة عن الغرب؟ ولو لم تكن لها مثل هذه الأحداث المغايرة، لما كان الغرب ينظر إليها بطريقة مختلفة لا تخلو من حذر وتوجّس!

والإجابة على هذا السؤال تترد إلى الماضي القديم، فهذه المجتمعات تنتمي إلى ثقافات ضاربة في التاريخ، والى حضارات موعلة في القدم، والى ديانات ما زالت مؤثرة إلى هذا اليوم، ومرّت عليها إمبراطوريات قوية. ومن طبيعة هذه المجتمعات أنها لا تتخلّى عن هويتها وتراثها وتاريخها، ومن الصعب الإطاحة بثقافتها، أو اقتلاعها عنها، أو التغلب عليها.

فالعرب قد وصل إلى هذه المجتمعات واستعمرها وفرض هيمنته عليها، وحاول التأثير على هيكلاتها الاقتصادية، وأنماطها الاجتماعية، والعبث بكل مكوناتها ومؤسساتها، والبنى التحتية فيها، لتغيير صورتها واستتباعها وربطها بالغرب في كافة مجالاتها. ومع أن هذه المجتمعات تقبّلت الانفتاح على الغرب، وتحديدًا اليابان، حيث أطلق الإمبراطور مييجي في الربع الأخير من القرن التاسع عشر مقولة: (لنترك آسيا ولننضم إلى الغرب)، وبهذا الانفتاح أخذت هذه المجتمعات الكثير من الغرب ومنها الحداثة، مع ذلك، لم تتخلّ هذه المجتمعات عن تقاليدها وتراثها وقيمها، وكيفت الحداثة وفق منظوراتها، واستطاعت أن تبرهن

على إمكانية اكتساب الحداثة دون التخلي عن التراث، أو الانقلاب على التقاليد، أو الارتداد على القيم.

فالهويات لها قوة الممانعة، والتقاليد لها قوة الرسوخ، والقيم لها قوة النضوذ. وقد أخرجت هذه المجتمعات الغرب الذي لم يعد يحتكر الحداثة، وانحل وهم المطابقة والتماثل بين الغرب والحداثة، كما لم يعد الغرب الطريق الوحيد للحداثة.

فالآسيويون يعتقدون كما يقول صمويل هنتنغتون في كتابه (صدام الحضارات) أن هذا النجاح الذي وصلوا إليه، هو إلى حد كبير نتاج للثقافة الآسيوية، ولم يعودوا يترددون في تأكيد تميز ثقافتهم، والإطراء على تفوق قيمهم ونمط حياتهم مقارنة بالغرب والمجتمعات الأخرى.

وقد وصل الآسيويون إلى درجة من الثقة بالنفس، بحيث لم يعودوا ينظرون كما ينقل هنتنغتون عن السفري تومي كوه إلى كل شيء غربي أو أميركي على أنه بالضرورة أفضل شيء. ووصل الحال بالآسيويين إلى أن يناقشوا حسب تصوير هنتنغتون، بأن التطور الآسيوي والقيم الآسيوية، هي نماذج ينبغي على المجتمعات غير الآسيوية الأخرى، أن تقتدي بها في جهودها الرامية إلى اللحاق بالغرب، وينبغي أن يتبناها الغرب حتى يجدد نفسه.

وهذا الذي كان يفترض أن ندركه نحن، وننتقل منه، ونتعامل على أساسه مع الحداثة، باعتبارنا ننتمي إلى ثقافة ثرية،

والى حضارة عريقة، والى دين عظيم. فالأمة التي لها مثل هذه الثقافة والحضارة، ومثل هذا الدين والتاريخ، لا يجوز في حقها أن تكون تابعة ومقلدة ومتماهية في حداثة الغرب، لأن بإمكانها أن تصل إلى ما وصلت إليه مجتمعات الحداثات المغايرة، في تكوين حداثة مغايرة لها أيضاً.

وإنجاز هذه الخطوة، والتقدّم نحوها، يحتاج من المثقفين العرب والمسلمين، إلى أن يغيّروا من نظرتهم إلى أنفسهم من جهة، والى تراثهم وثقافتهم من جهة أخرى، والى الغرب وحضارته من جهة
ثالثة.

وأذكر هنا بما قاله المستشرق الفرنسي أرنست رينان في مقدمة كتابه (ذكريات الطفولة والشباب) بقوله (إن جميع العصور التي تجثم على كاهل أمة ما، هي صحائف من كتاب واحد. وإن رجال التقدم الحقيقيين هم أولئك الذين يتخذون من احترامهم العميق للماضي منطلقاً لهم).

تواجه الصحوّة اليوم أعظم عملية إرهاب باسم مكافحة الإرهاب، وأعظم بطش حاقد متعصب باسم محاربة التعصب والأصولية.

وأمام هذه الهجمة الشرسة نجد من يحاول أن يظهر الإسلام بمظهر المهادن المداهن والمسالم والمتعايش مع كل الذناب الكاسرة والوحوش المفترسة.

من افتتاحية رسالة التقريب

ثورة الامام الخميني

المصادر التاريخية والتجديد الإسلامي

*

روجيه غارودي

• الثورة الإسلامية تجمع بين الثورتين السياسية والاقتصادية
• اعتبرت أوروبا نفسها منذ سقوط الاندلس صاحبة المشروع الثقافي لأصيل
• قاعدة الحضارة الغربية تقوم على أساس "إن الإنسان ذنب لا يعدم
الافتراس" • تقنيات العالم الحديث في نظر الإمام الخميني يجب أن تكون
متجهة إلى ازدهار البشرية لا إلى إفنائها • التوحيد يعني الخضوع لله
بالطريقة التي تؤدي إلى خدمة المجتمع الإنساني • السلطة في نظر الإمام
الخميني تعتمد على القوة العرفانية • رسالة الإمام الخميني تقوم على
أساس تقديم مفهوم جديد للتقدم.

إن هذه الثورة لا تُشبه أي ثورة أخرى، فالثورة الفرنسية، على
سبيل المثال، هي ثورة سياسية نقلت سلطة الدولة من الطبقة
الارستقراطية إلى طبقة هرمية اجتماعية جديدة تركزت على
مبدأ الثورة.

كما أن الثورة الروسية تتشابه بشكل من الأشكال في نقل
السلطة الاقتصادية من الطبقة البرجوازية إلى طبقة الكادحين.

❖ - المفكر الفرنسي المعروف.

بَيَدَ أَنْ الثَّوْرَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ تَجْمَعُ بَيْنَ الثَّوْرَتَيْنِ الْاِقْتِصَادِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ فِي آنٍ وَاحِدٍ. وَلَكِنْ مَا يُمَيِّزُهَا أَيْضاً أَنَّهَا ثَوْرَةٌ فِكْرِيَّةٌ اِمْتَدَّتْ شَامِخَةً أَمَامَ مَفَاهِيمِ الْإِنْسَانِ وَالْحَضَارَةِ السَّائِدَةِ فِي الْغَرْبِ مِنْذُ قُرُونٍ، وَالتِّي يُمْكِنُ مِنْ خِلَالِ ذَلِكَ أَنْ تَكُونَ الثَّوْرَةُ الْوَحِيدَةُ الَّتِي يَنْطَبِقُ عَلَيْهَا اسْمُ الثَّوْرَةِ «العَصْرِيَّةِ» بِكُلِّ مَا فِي الْكَلِمَةِ مِنْ مَعْنَى.

يَبْدَأُ التَّارِيخُ الْغَرْبِيُّ بِالْعَصْرِ الْحَدِيثِ الَّذِي سُمِّيَ بَعْدَ ذَلِكَ بِعَصْرِ النِّهْضَةِ، وَهُوَ الْعَصْرُ الَّذِي تَزَامَنَتْ فِيهِ وِلَادَةُ الرِّأْسَالِيَّةِ CAPITALISM مَعَ وِلَادَةِ الْاِسْتِعْمَارِ Colonialism، حَيْثُ شَرَعَتْ مِنْذُ بَدَايَاتِهَا الْأَوَّلَى بِسَنِّ قَانُونِ الْقَطِيعَةِ بَيْنَ الْغَرْبِ وَبَيْنَ جَمِيعِ الثَّقَافَاتِ الْعَالَمِيَّةِ الْآخَرَى.

وَعَلَى ذَلِكَ فَإِنَّ لِعَامِ ١٤٩٢مَ أَهْمِيَّةَ مُسْتَثْنَاءٍ. فَقَدْ شَهِدَ هَذَا الْعَامُ بِالْتَّحْدِيدِ سَقُوطِ غِرْنَاطَةِ، آخِرِ الْمَمَالِكِ الْاِسْلَامِيَّةِ فِي أَوْرُوبَا، وَفِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ شَهِدَ كَذَلِكَ اِحْتِلَالَ وَتَدْمِيرَ حَضَارَةِ الْاِمِيرِكِيِّينَ الْأَصْلِيِّينَ بَعْدَ وَصُولِ كَرِيستوفر كُولمبِسِ Christopher Columbus إِلَيْهَا. وَقَدْ تَبَعَ ذَلِكَ فِي الْقُرُونِ الْخَمْسَةِ الْاَلَّاحِقَةِ الْغَزْوُ الْاِسْتِعْمَارِي لِكُلِّ مَنْ أَفْرِيْقِيَا وَأَسِيَا وَمَحَاوِلَةُ إِغْيَاءِ الثَّقَافَاتِ وَالتَّقَالِيدِ الرُّوحِيَّةِ الَّتِي تَتَمَيَّزُ بِهَا هَذِهِ الْمَنَاطِقُ، وَتَدْمِيرِهَا تَدْمِيرًا شَامِلًا.

وَقَدْ اِعْتَبِرَتْ أَوْرُوبَا نَفْسَهَا مِنْذُ هَذِهِ الضَّرَةِ الزَّمْنِيَّةِ بِالْخُصُوصِ

صاحبة المشروع الثقافى الأصيل، وباعثةً لتجديد عصري متفرد.

ويمكن تصنيف هذه النهضة العصرية بفرضيات ثلاث:

١ - دعوى الإنسان على إدارة الحكم على الأرض بقدراته

الذاتية دون التدخل الغيبي، أو الإلهي المطلق.

٢ - إحلال مفهوم سيطرة الأسواق الاقتصادية بدلاً من مفهوم

النظرية الإلهية باعتبار أن الأسواق هي المنظم الوحيد لجميع

العلاقات القائمة بين الأفراد والشعوب.

وعلى أساس هذه القاعدة فإن جميع الأفراد يتنافسون فيما

بينهم طبقاً لمقولة الصراع التي أشار إليها المفكر توماس هوبز

Thomas Hobbes في قوله «الإنسان ذئب لا يعدم الافتراس»

preying upon man. Man is a wolf

٣ - لا تعدو الطبيعة إلا أن تكون خزناً من المواد الضرورية غير

قابل للنفاذ، ومستودعاً للإنتاج والاستهلاك على حد سواء.

وقد لخص ذلك ديكارت بقوله: «جعلنا أسياداً على الطبيعة

وملأنا لها».

بيد أن الثورة الإسلامية في إيران اعتمدت على ركائز أخرى

مختلفة تمتد بجذورها إلى أقدم حضارات العالم. وقد عبر قائدها

الإمام الخميني في حديثه عن هذه الثقافة بأنها ثقافة تمتدُّ

لآلاف السنوات...

وعلى ذلك فقد استطاع الإمام الخميني ممارسة دوره كقائد

موجّه دون أن يكون ذلك على حساب استبعاد المعرفة لتقنيات العالم الحديث على شرط أن تكون مندرجة في طريق الله، والتي تكون منصبّة على إزدهار الإنسان والبشرية جمعاء وليست ساعية لفضائهما.

وعلى هذا الأساس فإنّ هذه الطريقة تُبدد المقولات التي تزعم أنّ الإسلام هو عدو للعلم والتقنية، بينما الإسلام في حقيقته هو المُحرك الرئيس والمُحفّز لهذين الأساسين: العلم والتقنية. كما أنّ طريقة الإمام الخميني هذه بدّدت الإشاعات الغربيّة غير المسوّولة التي تربط الإسلام بالعنف والإرهاب.

لم يكن الإمام الخميني قد دعا للعودة إلى الأهداف الصحيحة للثورة الحقيقية فحسب، وإنّما كان قد حدّد الوسائل أيضاً. وهذه الوسائل تندرج في نبد العُنف من جانب، والاعتقاد من جانب آخر، أنّ الخلود البشري تمنحه سلطة (الشهادة).

إنّ المثال النموذجي لهذه الطريقة الجديدة ظهر من خلال نظرته إلى الجيش، فقد كان هذا الجيش خاضعاً لسلطة الشاه حيث امتلك قوّة ربّما كان يُعدّها أبدية لا تُقهر.

أمّا الإمام الخميني فكان يحملُ تصوّراً آخر للسلطة، فهو لا يراها متمثلة بالمُعَدات العسكرية الظاهرة، وإنّما تتمثل بالقوّة العرفانية المعتمدة على الوجدان الصوفي الذي يتسلّح به المقاتلون...

من هنا يمكن القول أن التقدم المطلوب، الذي طرحه الإمام الخميني، هو تقدم معكوس تماماً عما هو موجود فعلاً، فلا تتشابه حتى مصطلحاته مع المصطلحات الشائعة. ويتميز هذا التقدم عن التقدم الغربي من خلال مرتكزات ثلاثة:

الأولى: التوحيد

لا يعني التوحيد إثبات وحدانية الله المطلقة، أو إتحاد العالم الذي أنشأه فحسب، بل إن كل فرد من الأفراد، ومجتمع من المجتمعات ليس عليه إلا واجب الخضوع لله بالطريقة التي يؤدي خدمته فيها للمجتمع العالمي للإنسان.

الثانية: معارضة الفردانية

هذا التقدم يرفض الفردانية التي تسعى لجعل الفرد مركزاً ومقياساً لجميع القضايا، وخلافاً لتحويل نمط (المعيشة) إلى غابة تخضع لحسابات الربح والخسارة كمجال يتنافس فيه الفرد مع الآخرين، وهذه الرؤية الجديدة تتطلب الوصول إلى حقيقة أن أي عضو من أعضاء المجتمع الدولي هو عضو مسؤول بشكل لا إرادي عن جميع أعضاء هذا المجتمع كما نص القرآن على ذلك: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾.

ثالثاً: الاهتمام بالطبيعة

لا يُمكن اعتبار الطبيعة خزّاناً، أو مستودعاً غير فعّال، بل هي مجموعة آيات، ولغة من خلالها تكلم الله فأرانا عظمته فيها لغرض أن نتحمّل المسؤولية للحفاظ عليها. إنّ احترام الطبيعة يجعلها طبيعة خلاقية مثمرة.

ومن هنا يمكن تلخيص المردودات الجوهرية لرسالة الإمام الخميني بأنها رسالة يمكن أن يركز على قواعدها تقدّم جديد، لكنّه تقدّم حقيقي وصحيح.

من اعظم اهداف نظام الجمهورية الاسلامية توطيد
أواصر الوحدة بين المجتمعات والفرق الاسلامية، وهي
أهداف تقوم على قاعدة الكتاب والسنة.

الأمة الإسلامية الكبرى بحاجة اليوم أكثر من أي
وقت مضى الى التآلف والاتحاد. يجب ان نعمل على جعل
الأقطار والأعمال في الأسرة الإسلامية الكبرى أقرب إلى
بعضها وأسمى أخوة يوماً بعد يوم.

في هذه الفترة الزمنية نشعر بوضوح أن الأيدي المفرقة
قد زادت من مساعيها وهي منهكة بنشاطات شيطانية
لإثارة النعرات الطائفية وتوجيه الساحة الى ما يتعارض
مع آمال الأخوة والاتحاد.

من مرسوم السيد القائد بتعيين
الشيخ التسخيري أميناً عاماً للمجمع

الصنوبري

عاشق الجمال

• عاش في بيئة جميلة كان لها أثر في جمال نفس الشاعر • أكثر مدائحه
في الأشراف من آل البيت في زمانه • عشق الجمال في الطبيعة وفي الإنسان
• الشاعر يعيش مع الورد في حفلة عرس • المرأة رمز الجمال بما فيها
من سَكَنٍ وودٍّ • يمكن أن نفهم تشييع الصنوبري في إطار عشقه للجمال
• يبكي أهل البيت لما فيهم من عزّة وعظمة وشموخ

أحمد بن محمد بن الحسن الضبيّ الصنوبري، من أهل أنطاكية، نشأ وترى في حلب، وروي عنه قوله: «كان جدّي صاحب بيت حكمة من بيوت حكم المأمون، فجرت له بين يديه مناظرة فاستحسن كلامه وحده مزاجه، وقال له: إنك لصنوبري الشكل، يريد بذلك الذكاء وحده الزواج»، ومن هنا جاء لقب الصنوبري لشاعرنا استناداً إلى هذه الرواية. لا تعرف سنة ولادته، لكنه توفّي سنة ٣٣٤هـ عن عمر يناهز الخمسين.

تعلّم القرآن والشعر، وأخذ طرفاً من علوم زمانه في حلقات المساجد، وكان يتردّد على الرقة ودمشق. والمدن الثلاث: حلب والرقة ودمشق كانت في زمن الشاعر من أجمل المدن في الخيرات وطيب الماء والهواء وكثافة الشجر. وجمال الطبيعة كان له أثر

في جمال نفس الشاعر، ثم إن الصنوبري ابتعد عن الحرص والطمع والتكسب في شعره، مما حافظ على ذوقه الجمالي، وجعله بحق من أعظم شعراء الجمال في الأدب العربي.

العظيم المغمور

الصنوبري ظلم في حياته وبعد مماته. ففي حياته أعرض عن دقّ أبواب الخلفاء والوزراء والأمراء، وعاش لفتنه وذوقه الأدبي، وأكثر مدائحهم في أهل زمانه كانت للسادة الأشراف من أهل البيت الذين سكنوا حلب، لذلك لم تشتهر أشعاره، إضافة إلى أنّ الظروف الاجتماعية التي عاشها الشاعر كانت صاخبة بالحروب، وخاصة مع الروم، وكان الناس يتتبعون أخبار الانتصارات والهزائم في تلك المعارك، ويتشوقون إلى شعر كشعر المتنبي يصف الوقائع ويشحن الهمم ويقوّي العزيمة ويبعث على الإحساس بالعة، لذلك أقبل الناس على شعر المتنبي، بينما ظلّ الصنوبري يعيش لفته وعواطفه غير مكترث بما يريده الناس، وبقي لذلك مغموراً عند أهل زمانه.

وبعد وفاته كان الاهتمام برواية شعره قليل. ولعلّ ذلك يعود أيضاً إلى ماقد أسلفنا، ويعود أيضاً إلى كثرة القصائد الشيعية في ديوانه. ورواية مثل هذه القصائد لها تبعات سياسية أمام سلطة الخلافة وولاتها، كما أنها قد تجرّ على الراوي تهمة الباطنية والقرمطية.

جدير بالذكر أن التشييع أنئذ لا يعني مذهباً مقابل مذهب إسلامي آخر، بل يعني الولاء لآل بيت رسول الله والالتزام بمدرستهم القائمة على أساس كرامة الإنسان والبراءة من كل ما يسيء إلى هذه الكرامة.

على أي حال، ضاع معظم شعر الصنوبري، ولم يبق مما جمعه معاصره أبو بكر الصولي إلا القليل، وجمع محمد راغب الطباخ حوالي ستمائة بيت من شعره، نشرها تحت عنوان «الروضيات» عام ١٩٣٢م بحلب. ثم عُثر على مجموعة أخرى من شعره في مكتبة الجمعية الآسيوية بكلكتا. ونشر الدكتور إحسان عباس ما بقي من ديوانه محققاً من قافية الرء حتى القاف، أما الجزء الذي يسبقه والآخر الذي يلحقه فمفقودان.

ورغم توجه الدراسات الأدبية في العصر الحديث للتخلص من الرقابات الفكرية وموروث عصور الاضطهاد المذهبي، واهتمامها بالفضن الأصيل الصادق، فان الصنوبري لم يوف حقّه من البحث والدراسة.

عاشق الجمال

العاشق هو الذي خرج من ظلمات ذاته الضيقة إلى رحاب الكون الفسيح، فيرى ما في العالم من جمال في الكون وفي النفس. وأول جمال ينجذب إليه العاشق هو جمال الطبيعة وجمال الإنسان.

الطبيعة بكل ما فيها من روح وحياة وعطر وألوان ورياض وموسيقى وتنوع وخير وبركة، والإنسان بما تزخر به طبيعته الجسمية - الروحية من بديع الصنع وكرامة الخلقة وطبيعة الاستخلاف والقدرة على السمو والتكامل والإبداع، وتزيد الأنثى على الرجل جمالاً لأنها الشقيقة والسكن والريحانة ولأن فيها الرحمة والحنان أمّاً كانت أم أختاً أم ابنة أم زوجة.

والصنوبري من الشعراء العشاق، عشق الطبيعة «وتعلق بها وأنشدها أعذب أغانيه وأرق قصائده.. وكان تأثير الصنوبري كبيراً على الشعراء الذين أمّوا بلاط سيف الدولة، فقد التزموا بمنهجه في شعر الطبيعة وجروا على طريقته، وكوّنوا، بضخامة إنتاجهم، المدرسة الحلبية في شعر الطبيعة، هذه المدرسة التي تتلمذ عليها، على بعد الشقة ونأي الدار، معظم شعراء الأندلس بعد نصف قرن من الزمان».

وعشقه لجمال الطبيعة صادر عن نفس جميلة كان يحملها الشاعر، لأن ملاحظة الطبيعة لا يعرفها إلا المليح، يقول:

يا مَوْطِنًا كان من خيرِ المَواطنِ دُ لَ أن جَلَسْتُ به ما بين جُلّاسي
ماكدت أكتُمُ وجدي بنرجسِه إلا استدلوا على وجدي بأنفاسي
قل للذي لام فيه هل ترى كَيفاً بأملح الروضِ إلا أملح الناسِ

والعلاقة بين الشاعر والطبيعة لم تكن من جانب واحد، بل كانت الطبيعة تبادلها العواطف وتنطق وهي ساكته، وهو نطق

لا يفهمه إلا العاشقون الذين أذن لهم أن يدخلوا حرم الطبيعة
بكل ما فيه من جمال وجلال، يقول:

أما الرياضُ فَعَشِقُهَا عَشَقُ لم يَبْقَ فِيْ لغيرها طَرْقُ
زهراً الرياض إذا هي ابْتَسَمَتْ تدعو فيُسرعُ نحوها الخلقُ
فتظللُ تنطقُ وهي ساكئةٌ إنَّ الرياضَ سكوْتُها نُطقُ
وكل العلاقات بين أجزاء الطبيعة هي علاقة انسجام ووثام،

وعلاقة عاشق ومعشوق في نظر العارفين:

روضٌ عهدناه تصوغُ بطنونهُ لظهوره زهراً يَلوحُ أنيقه
سحبتُ سحائبه عليه ذيولها حتى تشقق في رياه شقيقه
وكانما هو عند ذلك عاشق صبُّ أحبَّ وصاله معشوقه
وجمال الطبيعة حرمٌ لا يدخله إلا العاشقون، وهو محرم على

اللثام الذين يعيشون في ظلمات ذاتياتهم:

يا ريمُ قومي الآن، ويحك، فانظري ما للربا قد أظهرت إعجابها
كانت محاسنُ وجهها محجوبةً فالآن قد كشفَ الربيعُ حجابها
وشقائقٌ تحكي الخدودَ ونرجسُ يحكي العيونُ إذا رأت أحبابها
والنهر قد هزته أرواحُ الصبا طرباً وجرت فوقه أهدابها
السرو تحسبُه العيونُ غوانياً قد شمّرت عن سوقها أثوابها
فكانَ إحداهنَّ من نضح الصبا خودٌ تلاعبُ موهناً أترابها
لو كنتُ أملكُ للرياضِ صيانةً يوماً لما وطئ اللثامُ ترابها

وتُلاحَظُ وحدةُ الجمال في الطبيعة والإنسان بنظر الشاعر،

كما تُلَاحِظُ الحَيَاةَ المتدفقة في كل ما يحيط بالشاعر من ربا
وأزهار وأنهر وأشجار.

وإذا كان جمال الورد هو الذي جعل البلبل عاشقاً متغزلاً في
رأي حافظ الشيرازي، فإن ما يحسه الصنوبري من نفس طيبة هو
من ذوبان الشاعر في جمال الورد، يقول:

وَهَبْتُ لِلرَّوْدِ نَفْسِي فَطَبْتُ بِالنَّفْسِ نَفْسَا
مِنْ أبيضِ فاقِ نوعاً وَأحمرِ فاقِ جنساً
كَأَنَّمَا غَمَسْتَهُ فِي العَصْفُرِ اليَدُ غَمَسَا
والشاعر يعيش مع الورد في حفلة عرس، وكل جوارحه تلمس
جماله وتشمه وتمسه، يقول:

مَا كَانَ لِمَا تَبَدَّى إِلَّا عروساً وعرساً
وَصَلَّتُهُ وَصَلَ مِثْلِي لِحِظاً وَشَمّاً وَمَسَا
وَلَوْ يُمَسُّ بِقَلْبِ أَفْنَاهِ قَلْبِي مَسَا
يَا حَسَنَهُ زَائِراً يُو سَعُ المَزُورِينَ أَنَسَا

والصنوبري يعيش مع الزهور، ويرتشف من جمالها، ويعرف
اسم كل منها وكأنها حبيبة من حبيباته فيتحدث بالتفصيل
عن النرجس، والشقيق، والأذريون، والبهار، والخرم، والبنفسج،
والياسمين، والنسرين، والسوسن، والنيلوفر، والآس، والجلنار،
والزعفران، والمرزجوش.. وغيرها من أنواع الزهور.. ويلاحظ أن
كل هذه الأسماء فارسيّة.

المرأة في شعر الصنوبري

عواطف الصنوبري تجاه المرأة هي عواطف العاشق الذي يهضو قلبه للجمال، والمرأة رمز الجمال بما فيها من سكن وأنس. وفي ما بقي من شعر الصنوبري يشكو الشاعر من تباريح الهوى وهي شكوى كل العاشقين الذين يرون العشق في بدايته سهلاً ثم تبدو بعد ذلك أهواله، يقول:

تزايد ما ألقى فقد جاوز الحداً	وكان الهوى مزحاً فصار الهوى جِداً
وقد كنت جليداً ثم أوهنني الهوى	وهذا الهوى مازال يستوهن الجليداً
فلا تعجبي من غلب ضعفك قوتي	فكم من ظباء في الهوى غلبت أسداً
جرى حبكم مجرى حياتي ففقدكم	كفقد حياتي لا رأيت لكم فقداً

ويعبر عن لوعته تجاه الحبيب وعن خشوعه أمام جلال المحبوب بقوله:

لا النوم أدريه ولا الأرق	يدري بهذين من به رَمَقُ
إن دموعي من طول ما استبقت	كلت فما تستطيع تستبقُ
ولي ليك لم تبد صورته	مُدْ كان إلا صلت له الدقُ
نويتُ تقبيل نار وجنته	وخفت أدنو منها فأحترق

ولكن الأهم من ذلك في شعر الصنوبري عواطفه تجاه ابنته ليلي وتجاه أمه بعد أن فقدتهما، ويدرج عادة في الرثاء، لكنه يعبر أولاً عن عاطفة صادقة تجاه المرأة أمّاً وبنْتاً، وفيه من اللوعة ما يشبه لوعة العاشق وهو يبحث عن حبيبه.

في رثائه لأمه يصوِّرها بأنها روضة مونقة، ودوحة مورقة. وفي هذا التعبير من الشعور الجمالي ما لا يخفى، ثم يذكر ما فيها من رحمة (باب إلى الجنة) ولا يطيق أن يراها بعيدة عنه، ولا يتحمل أن يراها قد توسدت التراب بعد أن كان يرتشف منها الحنان والإشفاق. ومن قوله في قصيدة:

قد صَوَّحت روضتي المونقةُ وانثُرعت دوحتي المورقةُ
باباً إلى الجنة ودَعْتُهُ منذ رأيتُ الموتُ قد أغلقهُ
يقلق أحشائي على مضجعي تذكري أحشاءك المقلقةُ
يا مهجة جُرت فضمَّنتها من الثرى غير الضمين الثقهُ
علام طابت بكِ نفسي وقد عهدتها حانية مشفقهُ

وأما ابنته ليلي فقد فقدتها وهي في ريعان شبابها، وراح يتحدث عن قبرها في قنسرين كما يتحدث العاشقون عن خيام الحبيبة:

على باب قنسرين قبرٌ عزيزة على أبويها من أعزِّ العزايز
بمركز أجدات كأن شخوصها شخوصُ خيام دانياتِ المراكز
وينصحه أهله بالصبر والتجلد، ولكن أتى له ذلك:

ويأمرني بالصبر أهلي وكلهم عليكِ أخو قلب عن الصبر عاجز
ولا يأنس إلا بالمقابر حيث أطلال مثنوى الحبيب:

يرى الأنسَ إلا بالمقابرِ وحشةً ويعتدُّ أنَّ الفوزَ سَكْنَى المفاوز
ويرى في صوت القمريِّ نياحةً على إلفه، ويعاهد نفسه أن يظلَّ
باكياً بنته مع بكاء هذا الطير:

سأبكي ما بكي القمريُّ بنتي يبحر من دموع بل بحور

أَلَسْتُ أَحَقُّ مِنْ أَبِئِي عَلَيْهَا إِذَا بَكَتِ الطَّيُورُ عَلَى الطَّيُورِ
وَلَا بَدَّ أَنْ نَفْهَمَ لَوْعَةَ الشَّاعِرِ عَلَى ابْنَتِهِ أَنَّهَا تَصْدُرُ فِي بَيْئَةٍ تَرَى
الْبِكَاءَ عَلَى النِّسَاءِ عَارًا لَا يَلِيْقُ بِالرَّجُلِ!! وَهُوَ إِرْثُ جَاهِلِيٍّ يَعْتَبِرُ
الْمَرْأَةَ لَا تَسْتَحِقُّ الْبِكَاءَ وَيَعْتَبِرُ الْقَبْرَ أَفْضَلَ مَا يُمْكِنُ أَنْ تُزْفَّ إِلَيْهِ
الْبِنْتُ!!

وقد يكون الشاعر كشاحم متأثر بهذا الموروث الجاهلي حين
خاطب الصنوبري يسليه بقوله:

تَأْسُ يَا أَبَا بَكْرٍ لَمَوْتُ الْحِرَّةِ الْبَكْرِ
فَقَدْ زَوَّجْتَهَا الْقَبْرَ وَمَا كَالْقَبْرِ مِنْ صَهْرٍ
زَفَافٌ أَهْدَيْتَ فِيهِ مِنْ الْخَدْرِ إِلَى الْقَبْرِ
فَقَابِلْ نِعْمَةَ اللَّهِ وَمَا أَوْلَاكَ مِنْ شُكْرِ

لكن الشاعر الطافح بالعاطفة النبيلة تجاه المرأة، لا يعبأ بهذه
النظرة الجاهلية، ويرى أن أجمل مكان في الدنيا باب قنسرين حيث
القبر الذي وارى أحب الناس إليه:

جَلِيسُ أَجْدَاثٍ كَأَنِّي بِهَا جَلِيسُ أَنْهَارٍ وَأَشْجَارِ
مَالِي بِأَرْضٍ وَطَرٌّ إِيَّامَا بَبَابِ قَنْسَرِينَ أَوْطَارِي
يَا بَابَ قَنْسَرِينَ لَا تَخُلْ مِنْ سَحَابِ عُونٍ وَإِبْكَارِ
مِنْ مُزْنَةٍ تَهْمِي وَمِنْ مَقْلَةٍ تَبْكِي بِدَمْعٍ مِنْ دَمِ جَارِ

تشييعه

يمكن أن نفهم تشييع الصنوبري في إطار عشقه للجمال.

والعاشق يهيم بكل جمال في الإنسان من عزّة نفس، وكرامة، وتقوى، وإباء للضيم، ونصرة للمظلوم، ومقارعة للظالم، وصمود على طريق الحقّ، والزهد في الدنيا مع التمكن منها، والعدل، والإنصاف، والإيثار، والمساواة، والتقوى .. كلّها كانت تتجلّى بأروع صورها في رسول الله (ص) وأهل بيته.

الشعراء الشيعة الصادقون كانوا عشاقاً لأهل البيت بسبب عشقهم لهذه الفضائل الإنسانية. ولذلك تحمّلوا في سبيل هذا العشق في العصر الأموي، بل وفي العصر العباسي ما تحمّلوا سواء من السلطة الحاكمة أو من بعض المتعصبين المنحرفين عن عليّ وأهل بيته.

والصنوبري يرى في حبه للنبي ووصي النبي وفاطمة وابنيها، وهم الخمسة أصحاب الكساء، لذة تفتح أمامه رحمة الله ورضوانه:

مع حبّ فاطمة وحبّ بنيتها	حبّ النبي محمد ووصيّه
يبني العلى بعلاهم بانيتها	أهل الكساء الخمسة الغرر التي
فيحقّ لي أن لا أكون سفيها	إن السفاه بترك مدحي فيهم
يلتذّ برّد رجائها راجيها	أرجو شفاعتهم وتلك شفاعة

ويبحث الشاعر عن عمق حبه لعليّ في نصوص السنّة المتمثلة بحديث الغدير وفي وصف النبي علياً بأنه: الأفضل والأقضى وهو كهارون من موسى:

رفع النبي يمينه بيمينه ليرى ارتفاع يمينه رائها
 آخاه في خمّ ونوّه باسمه لم يأل في خبر به تنويها
 هو قال: أفضلكم عليّ إنه أمضى قضيته التي يمضيها
 هو لي كهارون لموسى حبّذا تشبيهه هارون به تشبيها
 ثم يلتفت الشاعر إلى مثار العواطف وساحة العاشقين الذين
 ضحوا من أجل العزّة والكرامة والمبدأ.. إلى كربلاء التي فاقت
 فيها مصيبة أهل البيت كلّ مصيبة:

عوجا بدار الطفّ للدار التي ورث الهدى أهلوه عن أهليها
 نَبكي قبوراً إن بكينا غيرها بعض البكاء فإنما نعنيها
 وهو حين يبكي أهل البيت فإنما يبكي لما فيهم من عزّة وعظمة
 وشموخ ولما في أعدائهم من خسة وفضاظة وقسوة:

أقولُ والقولُ يَبقى بعد الدهور دهوراً
 دُور الغرّـريِّ ودوراً بالطفّ حيّيت دوراً
 كم قد حويّت جبالاً وكم حويّت بحوراً
 مُئنت للفاطميين لوعنة وزفيرا
 الأفضـلـين جهاداً والأفضـلـين نصيرا
 يوم الحسين على الـديـم من كنت يوماً عسيرا
 ألم يكن حملُ رأس الـحـسين خطباً كبيراً
 ألم يكن منعُهُ المـا ءَ كان شيئاً كبيراً
 أكان هتـكُ حريم الـحـسين أمراً حقيرا
 أكان قرعُ ثنايا هُ بالقضيب يسيرا

ثأرثُمُ أهْلَ بَدْرٍ لما وجدتم ثؤورا
وواضح مما تبقى من شعر الصنوبري أنه لم يكن يرثى الحسين
وأهل البيت على الطريقة التقليدية في الرثاء، بل كان يعبر عن
عاطفة تجاه شموخ هذا البيت الكريم ومكانته في الإسلام وصموده
على طريق الحق، ودفاعه عن القيم الإنسانية وعن عزّة الإنسان
وكرامته.

بقي أن نقول إن حياة الشاعر وحياة حلب في عصره وهكذا
عشقه للطبيعة والقيم وإبداعه الفني في وصف الطبيعة، بحاجة
إلى دراسات واسعة، وإنّ المفقود من شعره بحاجة إلى مزيد من
الجهد لاستجماعه وإخراج ديوانه.

لم يبق ذو حس وشعور في شرق الارض وغربها، إلا وقد
أحسّ وشعر بضرورة الاتحاد والاتفاق، ومضرة الفرقة
والاختلاف، حتى أصبح هذا الحس والشعور أمراً وجدانياً
محسوساً يحس به كل فرد من المسلمين، كما يحس
بعوارضه الشخصية من صحته وسقمه، وجوعه وعطشه،
وذلك بفضل الجهود التي قام بها جملة من أفاض الرجال
المصلحين في هذه العصور الأخيرة.
من مقدمة كتاب أصل الشيعة وأصولها للإمام كاشف الغطاء

نداء إقبال ووحدة المسلمين

محمد التهامي

فاصدح وهزّ المسلمين وردّ
ظلّوا على نوم بسمع موصد
لم يدركوا معنى نداء المرشد
يوماً يهزّهم غناء المنشد
ويل له إن عاش غير موحد
وتلمّ شمل القائم المتعبّد
فكانه لإلهه لم يسجد
ونعّيش بين مبدّد ومبدّد
كالتائهين على الطريق المهتدي
وتخيّروا من بيننا من يعتدي
ورموا الى يدنا فتيل الموقد
وتصادمت تحت الظلام الأسود
أضواؤها غلبت ضياء الفرقد
فانجاب ليل ظلامه لم يصمد
فانداح فوق الكون نور محمد
جاءوا إلى ساح الفناء بموعد

إقبال شعرك خالد لم ينضد
إن الذين تعبت في إيقاظهم
كم رحمت ترشدكم وغاب رشادهم
أعد النشيد لعلهم في مرّة
قل للموحد في ديانة مسلم
فالقابلة الغراء تجمع وجهنا
من حاد عن صف الجماعة بيننا
الدين يجمعنا ونحن نردّه
وتشيع أسباب العداوة بيننا
أعداؤنا ساقوا علينا أهلنا
جمعوا الوقود وهياؤنا فوقه
فعلّا اللهب وفزّعت أوطاننا
من قال إنا الوارثون لأمة
رفعت لواء النور في كبد الدجى
وتدفق الإيمان من أعماقها
وهوى جميع الظالمين كأنهم

ما زال هذا النور ينظر نحونا
يضوي.. يؤرقنا .. يهز نعاسنا
لم يكفنا منه نذير واحد
يشد في الأقصى .. يهز بناءه
ويشد حرّ ترابنا من تحتنا
دقت رياح الهول فوق رؤوسنا
ورؤوسنا بضالها مفتونة
النور وهو النور في أعماقنا
فمتى يعود التائبون لبرهم
الله يعصمنا إذا لذنا به
والله غفار الذنوب جميعها
فتوحدوا في الله يحمي صفتكم
لا ترهبوا أعوانه وسلاحه
فالله فوق العالمين جلاله
يحمي العباد إذا توحد جمعهم
فتقدموا والله فوق صفوفكم
وثقوا بنصر الله واشتدوا له
لم يبق شيء نُستشار لأجله
مسرى رسول الله هزّ كيانه

فلعل في الأحقاد من لم يرقد
يرمي شواظ النار فوق المرقد
فأتى النذير بوابل متعدد
يطوي بساط الأرض تحت المسجد
لنعيش إن عشنا حياة مشرد
بمطارق تغري عصي الجملد
وكأنها نسيت شريعة أحمد
قد ضاع بين مهاترو معريد
فالبرّ عن آفاقنا لم يُعَد
في توبة تمحو ذنوب المفسد
إن ظل صاحبها بقلب موحد
ويردّ عنكم صولة المستعبد
مهما أتى من مُبرق أو مُرعد
سبحانه من قاهر متفرد
في عصابة ويدّ تشدّ على يد
يرمي فيعصف بالغشوم المعتدي
فالنصر ليس غنيمة المتردد
جاز التبجح طاقة المتجلد
ومشى بساحته ذئاب المعبد

رحيل العلامة شهيدى

إنا لله وإنا إليه راجعون



توفي في كانون الثاني
ب طهران الاستاذ الدكتور سيد
جعفر شهيدى عن عمر يناهز
٨٩ عاماً.

ولد بمدينة بروجرد من
محافظة لرستان، وفي الثالثة
والعشرين من عمره هاجر إلى

النجف الأشرف لطلب العلم، فعاد وهو يحمل درجة الاجتهاد في
الفقه والأصول.

امتهن التدريس في التربية والتعليم، وفي نفس الأعوام أصدر
مجلة "فروع علم" = نور العلم. ودرس في كلية الإلهيات بجامعة
طهران، وحاز على الإجازة الجامعية، ثم دعاه علي أكبر دهخدا
صاحب أكبر موسوعة في اللغة الفارسية ليتعاون معه. ثم واصل
سيد جعفر شهيدى دراسته في كلية الآداب بجامعة طهران
وحصل على الدكتوراه في الأدب الفارسي، ومنذ سنة ١٩٦٢ بدأ
التدريس في قسمي اللغة العربية واللغة الفارسية بكلية الآداب من
جامعة طهران.

تعاون مع الدكتور محمد معين في إعداد "فرهنگ فارسی" =
القاموس الفارسي، وتولّى وكالة مؤسسة دهخدا التي عُيّنت
بمشروع إكمال موسوعة دهخدا اللغوية. ثم أصبح رئيس
المؤسسة.

وفي سنة ١٩٩٣ نال درجة الاستاذية الفخرية من جامعة بكين في
الصين.

من مؤلفاته:

- المهدوية في الإسلام
- جنيات التاريخ
- حياة الإمام السجاد
- حياة الإمام الحسين
- حياة الإمام الصادق
- حياة السيدة فاطمة
- تاريخ الإسلام التحليلي
- شرح ديوان الأنوري
- شرح المثنوي لجلال الدين الرومي
- تصحيح كثير من الكتب وتحقيقها
- كتابة أكثر من مائة مقالة بالفارسية والعربية. مقالاته
العربية منشورة في طهران والجزائر والعراق. وبعض كتبه
مترجمة إلى اللغة العربية.

سيرته

كان علمه جماً لكن خلقه فاق علمه، فقد كان رضوان الله عليه في غاية التواضع وفي ذروة الاهتمام برفع مستوى طلابه، والتعامل بخُلُق كريم حتى مع مَنْ أساء إليه.

كان بشره في وجهه وحزنه في قلبه، ولم يشك يوماً من شيء حتى حين فقد ولده في الحرب المفروضة وعُدَّ في زمرة الشهداء. توفيت زوجته رحمها الله حزناً على ولدها، لكن الاستاذ ظلّ مرفوع القامة صابراً محتسباً.

ومن خُلُقهِ المعروف أداءه الصلوات الخمس في أوقاتها، فإذا رُفِع الأذان وقف للصلاة حيثما كان.. في الشارع أو في السوق.. أو أي محلّ عام.

ومن خُلُقهِ العمل الدؤوب المتواصل الذي لا يعرف الكلل والملل، يتعب المتعاونون معه، فيتركون عملهم، وهو يظلّ يعمل ويعمل حتى ساعات متأخرة من الليل.

ولابدّ أن نذكر هنا خصائص أخرى تميّز بها الرجل:

١ - إنه انفتح على مقاصد الإسلام الكبرى، وحمل هموم الأمة الاسلاميّة منذ ريعان شبابه.

٢ - انطلاقاً من هذا التوجّه اهتم بوحدة المسلمين خاصة بين الإيرانيين والعرب والتقريب بين المذاهب، فكان من أول أعضاء المجلس الأعلى للتقريب بين المذاهب الإسلامية، وبقي في هذا

المجلس سنين قبل أن تنتكس صحته.

٣ - كان يجيد العربية محادثة وكتابة، وكان يقول دائماً:
لا يمكن أن يدعي الإنسان معرفته بالعربية حتى يتكلم بها
ويتعرف لغة المحادثة.

٤ - لحبه لغة العربية أصبح مدير قسم اللغة العربية لسنين
في جامعة طهران، رغم أن تخصصه في اللغة الفارسية وآدابها.
رضوان الله تعالى عليه وحشره مع أجداده، فهو "سيد" من آل
بيت رسول الله (ص)، ووفق طلابه وزملاءه لمواصلة مسيرته. وأنا لله
وأنا اليه راجعون.

بهذه المناسبة ننشر ما صدر عن السيد القائد ولي أمر المسلمين
من نعي للفقيد.

وننشر مقالة ارتجلها في أحد مؤتمرات الوحدة الإسلامية
بطهران.

كما ننشر مقالاً له عن دور الايرانيين في نشر الحضارة
الإسلامية.

المقال الاول ينحو منحى التقريب المذهبي، والثاني منحى
التقريب القومي. وهذان المنحيان ينطلقان من التوجه الحضاري
للفقيد الراحل.

السيد القائد ينعى العلامة شهيدي



بسم الله الرحمن الرحيم

بمناسبة رحيل العلامة الكبير
المرحوم الدكتور سيد جعفر
شهيدي رحمة الله عليه أتقدم
بالتعازي إلى أسرته الكريمة وذويه
وظلابه ومريديه وإلى المحافظ
العلمية والجامعية في البلاد.

كان أديباً بارعاً ومؤرخاً عميقاً وإنساناً سامياً كريماً، ومن
المفاخر العلمية لهذا العصر، وخلف آثاراً مكتوبة قيّمة وباقية.
أسأل الله سبحانه أن يشمل هذا الرجل المؤمن الصادق برحمته
الواسعة وبحشره مع أجداده الطاهرين.

سيد علي خامنئي

٦ محرم ١٤٢٩هـ

في القرن الأخير وخاصة بعد الحربين العالميتين تنبّه
المسلمون إلى تخلفهم الحضاري، بل إنّ الواعين أدركوا أنّ
النزاعات الطائفية كانت من عوامل هذا التخلف، فقد
أبعدت المسلمين عن بعضهم وأوقفت التعاون لأمد طويل.
لكننا نشهد بفضل الله سبحانه عودة التعاون المشترك. ومع
أنه يطوي خطواته الأولى، لكن الأمل معقود على مستقبله.
الفقيه الدكتور سيد جعفر شهيدي

التحدي الحضاري

*

جعفر شهيدي

قبل سنين كانت وزارة الشؤون الدينية في الجزائر تعقد سنوياً "ملتقى الفكر الاسلامي".

في إحدى السنوات عقدت الملتقى تحت عنوان "يقظة العالم الاسلامي" وكانت لي مشاركة فيه، ولقد مرّت عقود على ذلك الملتقى، لكن الحاجة إلى طرح هذا العنوان لا تزال قائمة.

على المسلمين أن يفكروا كيف يستيقظون ولماذا استسلموا للنوم؟ والآن إذ تبدو بوادر اليقظة فماذا عليهم أن يعملوا؟

نسأل أولاً ما معنى التحضر؟ الأجوبة في هذا المجال متنوعة وليست واحدة، وأكثرها يركّز على التقدم الصناعي، وما يرتبط بالصناعة. لو كان هذا هو معنى اليقظة فذلك صحيح.

المسلمون، حيثما كانوا ولأي سلطة دانوا، يفصل بينهم وبين الغرب في الصناعة بون شاسع.

الحديث عن سبب تأخرنا وتقدم الغرب ليس بجديد، غير أن تكراره لا يخلو من فائدة خاصة ونحن في ظروف صحوة وظروف محاولة نهوض.

في عصر نهضتنا بلغنا شأواً لم يصل إليه الغربيون إلا بعد

❖ - كلمة ارتجلها الفقيد الراحل الدكتور سيد جعفر شهيدي في أحد مؤتمرات

الوحدة الإسلامية بطهران.

قرون، كانت عندنا ظاهرة العمل الجماعي من أجل التطوير العلمي وتوسيع نطاقه. من المؤكد أن التطوير العلمي وتوسيع نطاقه بحاجة إلى تلاقح الأفكار، وهذا التلاقح لا يتحقق إلا في التعاون الجمعي.

مهما بلغ العالمُ من قدرات ذهنية متوقّدة، فإنه سيبقى محدوداً إذا قبع بين جدران أربع ليطالع لوحده وليفكر لوحده. ما يُثري العلم هو تلاقح الأفكار.

في هذا العصر الذي نتحدث عنه كانت ساحة نشاط علماء الإسلام تمتدّ من سواحل المحيط الأطلسي إلى جبال القفقاس، ومن أفريقيا إلى شبه القارة الهندية. شعوب ذات ألوان وإثنيات مختلفة، لكنهم كانوا مشتركين في الفكر.. فكر الكشف العلمي وتوسيع نطاقه في العالم.

كلنا نعلم أنّ السفر في تلك العصور كان بالوسائل الابتدائية والعلماء بهذه الوسائل كانوا في حركة دائبة متواصلة. كأن العالم الإسلامي صفحة شطرنج تتحرك عليه القطع باستمرار. كتاب يؤلّف في الشرق يصل إلى غرب العالم الإسلامي بعد مدة تقلّ عن ثمانية أشهر. فتُكتب عليه الشروح والتعليقات ويتعرّض لدراسة الباحثين ونقدهم. ولو أن العلماء لم تكن أمامهم هذه الساحة المفتوحة الواسعة، وكان يجهل بعضهم بعضاً لما أمكن للعلم أن يرتقي هذا السلم الصعودي.

إلى جانب هذه العوامل كان ثمة عامل آخر وهو عدم تدخّل

الحكام آنئذ في شؤون العلماء. كان بين حكام بعض حواضر العالم الاسلامي نزاع واختلاف، لكن علماء المسلمين كان لهم شأنهم المستقل، وكانوا منهمكين في أعمالهم يتنقلون بين هذه الحواضر، يرون في كل واحدة منها جزءاً من وطنهم الإسلامي.

بدأ هبوط منحني العلوم الإسلامية من يوم أن تدخل الخليفة أو واليه في أمر العلم والتعليم. منع بعضهم تداول العلوم العقلية بل حتى علوم الهندسة والرياضيات. ثم حدثت الطامة الكبرى التي جرّأت العالم الإسلامي. ولا يخفى عليكم ما جرّته من استيلاء سبات الغفلة على دائرة العالم الاسلامي.

أما في دائرة الدين والمعتقدات الدينية فقد شهد المسلمون مع الأسف مثل هذه الحالة. فقد تدخل العاملان المذكوران في هذه الدائرة أيضاً بشكل وآخر وترك عليها أثراً سيئاً لا يقل عن آثار الركود العلمي للمسلمين. لقد انسحبت من هذه الدائرة الأخوة الإسلامية والتسامح الديني، ودخلت السلطة لتؤجج نيران الصراعات بين المسلمين.

نعلم أن المسلمين في عصر الرسول (ص) ومن بعده في عصر الخلفاء كانوا يرجعون في فروع أحكام دينهم إلى القرآن والسنة. وإن لم يجدوا فيهما جواباً اجتهدوا برأيهم. وقد تختلف الاجتهادات.

لكننا نرى في قرون متأخرة أن العالم الاسلامي يبشع نزاعات مؤلمة حول هذه المسائل الفرعية الخلافية. نرى النزاعات بين الشيعة والسنة، وبين السنة والسنة. بين الشافعية والحنفية والمالكية حتى

كان الآية الكريمة: ﴿فأصبحتم بنعمته إخوانا﴾ تحولت إلى
فأصبحتم بكفر الله أعداء!!

نحمد الله أن نرى اليوم وجود صحوة دينية إلى جانب الصحوة
السياسية. في القرن الأخير وخاصة بعد الحربين العالميتين تنبّه
المسلمون إلى تخلّفهم الحضاري، بل إنّ الواعين أدركوا أنّ النزاعات
الطائفية كانت من عوامل هذا التخلّف، فقد أبعدت المسلمين عن
بعضهم وأوقفت التعاون لأمد طويل. لكننا نشهد بفضل الله
سبحانه عودة التعاون المشترك. ومع أنه يطوي خطواته الأولى، لكن
الأمّل معقود على مستقبله.

تعارف علماء المذاهب والتزاور بينهم واشتراكهم في دراسة
المشتركات، وإيمانهم بتفوّقها كثيراً على الاختلافات قد وفّر
أجواء التقارب، وفي هذه الأجواء وُلدت دار التقريب في القاهرة
وتأسس المجمع العالمي للتقريب في إيران. ونحن نجني اليوم ثمار
هذه الجهود التقريبية.

ما يجب أن أقوله في الخاتمة هو: إنّنا إذا كنّا متأخرين عن
الغرب في المجال الصناعي، فإننا في طبيعة من يملك رسالة إنسانية
لهداية الشعوب.

البشرية أفرزت مدارس سياسية واقتصادية متنوعة وجربتها
لكنها لم تحقق سعادة الشعوب. المسلمون يفخرون بأنهم قادرين
على أن يقولوا للبشرية بأنهم يمتلكون المشروع الذي يحقق ما تصبو
إليه من عدالة، وهو المشروع الاسلامي القائم على أساس القرآن
والسنّة شرط أن يكون للمسلمين إرادة في النهوض بهذه المهمة.

الحضارة الإسلامية

ودور الإيرانيين في نشرها

*

جعفر شهيدي

• لم تكن القوة عاملاً في انتشار الإسلام وإنما ترك أبناء البلاد المفتوحة
أحراراً في أديانهم • لم ينتشر الإسلام بالسيف بل انتشر بالدعوة وحدها
• كان للإيرانيين دور كبير في نشر الإسلام وتوطيد دعائم هذا الدين
• أقبل الإيرانيون بشوق بالغ ليُفهموا نداء السماء • الإيرانيون قدموا كل
ما عندهم من تجارب لخدمة الدين الحنيف • تفاعلت الحضارات المختلفة
في إطار الإسلام ، فأثمر هذا التفاعل دوحة الحضارة الإسلامية الوارفة
• أول تكليف إسلامي هو إقرأ.. أي أطلب العلم • الإيمان كان وراء كل
إنتاج حضاري.

كانت جزيرة العرب الدائرة الأولى التي تركز فيها الإسلام،
وبما أن الإسلام لم يكن دين العرب وحدهم، وإنما هو دين الإنسان
والفطرة الإنسانية فكان لابد أن يتجاوز حدود الجزيرة إلى نطاقه
الأوسع. ونتكلم في هذا المقال عن نطاق معين من هذه الحركة
التوسعية، وهذا النطاق هو الجزء الخاص بإيران أو بلاد الفرس
من هذه الانطلاقة العظيمة.

ولابد لنا أن نقول أولاً أن موقف الإيرانيين أمام الإسلام لم يكن

كموقفهم أمام الروم، لقد كانت الحرب سجالاتاً بين الفرس والروم، وكانت كما يقال يوم لك ويوم عليك، ولم يهن الإيرانيون يوماً أمام الروم لأن الحرب كانت تقوم على أساس الكرامة والشعور القومي والعزة والوطنية، وكانت صراعاً على زعامة العالم.

أما موقفها أمام الإسلام فقد كان شيئاً آخر. كان بعيداً عن هذا كله، نعم وقع التشابك بين العرب والإيرانيين، ووقعت الحروب الدامية في بعض الثغور، ولكن كل ذلك كان قبل أن يعرف الإيرانيون الإسلام وحقيقة الدعوة المحمدية. فلما عرفوا الإسلام حق المعرفة احتضنوه واعتنقوه من أعماق قلوبهم.

فكان ذلك الموقف إذاً استجابة إلى داعي الحق لا خضوعاً للسياف أو تسليماً للقوة. وليس أدل على ذلك من السرعة الخاطفة التي انتشر بها الإسلام في إيران.

والفتح الإسلامي مكن المسلمين من الدخول في بلدان كثيرة واسعة على يد مجموعة من الرجال لا يزيد عددهم عن حامية ثغر من هذه الثغور، مع ما كان عليه العرب يومئذ من بساطة المعيشة وقلة الدربة، كل ذلك لأن تقدير عنصر القوة لم يكن في حساب المسلمين مطلقاً، ولم تكن القوة عاملاً في انتشار الإسلام، وإلا ما ترك العرب أبناء البلاد المفتوحة أحراراً في أديانهم. فإذا حدث أن اعتنق الأقباط الإسلام واتخذوا العربية لغة لهم، فذلك

لما رأوا من عدل العرب الغالبين مما لم يروا مثله من سادتهم السابقين، ولما كان عليه الإسلام من السماحة التي لم يعرفوها من قبل، فلم ينتشر الإسلام إذن بالسيف بل انتشر بالدعوة وحدها وبالدعوة وحدها، اعتنقته الشعوب التي قهرت العرب في عصور تالية كالترك والمغول.

دخل أكثر البلاد الإيرانية في حكم الإسلام من باب الصلح والتفاهم لا من باب الهزيمة والإرغام، وفتحت إيران ذراعيها للإسلام.

فإذا أراد أحد أن يعرف أكثر عن الأسباب قلنا إن ذلك يرجع إلى عاملين أساسيين:

الأول: هو أن هذا الانقلاب العجيب الذي حدث في الجزيرة العربية وأظهر المعجزة في توحيدها بعدما ظل مستحيلاً طول الزمان، كان أهم العوامل التي لفتت أنظار الفرس إلى الحقيقة الإسلامية.

السبب الثاني: أن الأمة الإيرانية كانت أمة كتابية، أي كان لها إذ ذاك نبيها وكتابها، ومن هنا كانت آذانها معتادة على نعمة السماء والإيمان بالله، ولم يكن ظهور النبي غريباً على الفرس بل كان وصول هذا النبأ إلى إسماعهم مدعاة إلى ازدياد شوقهم إليه ومعرفة حقيقة الدعوة المحمدية، فلما سمعوا القرآن يقول: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ

إِلَّا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ
 اللَّهِ ﴿١٠﴾. ويقول عزّ من قائل: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ
 ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ
 اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾، ثم يسمعون النبي صلى الله عليه وآله وسلم
 يقول: "لا فضل لعربي على عجمي الا بالتقوى" ويقول: "سلمان
 منا أهل البيت"، وكان يخاطبهم بالذات وكأنه يحدّد لهم نوعاً
 من المسؤولية بقوله صلى الله عليه وآله وسلم: "لو كان العلم
 معلقاً بالثريا لتناوله قوم من أبناء فارس".

باسم الله ذهبت عصبيتهم القومية وأصبحوا بنعمة الله إخواناً،
 وصار كتاب الله أعزّ عليهم من أنفسهم وأولادهم ولا يزال
 كذلك وسيبقى بفضل الله سبحانه.

نعم لقد عرف الإيرانيون دورهم في الدعوة الإسلامية وكان
 لهم الدور في توطيد دعائم هذا الدين مما لا يخفى على القارئ
 الكريم.

إن إيران في ذلك الوقت كانت الإمبراطورية العظيمة التي
 تخضع لسلطانها شعوب كثيرة متباينة الأجناس، مارست فيها
 الحكم ونظمه والسياسيات والحروب وفنونها، كما هضمت
 الحضارات والديانات واستقطبت الإمكانات والكفاءات. وبعد أن
 دخل الإسلام هذه البلاد قدّم الإيرانيون تجربة تمتدّ جذورها
 لإلضي سنة من الحكم بأنواعه وفروعه ونظمه وتقاليده هدية

للعرب حين كانوا بأمس الحاجة إلى تلك التجربة لإدارة هذا العالم الجديد.

واتجهت أنظار الفرس كغيرهم من الشعوب الأخرى إلى مهبط الوحي، وارتبطت قلوبهم بمركز الدائرة .. بالكعبة، وكان لا بد من حدوث عملية المزج والانصهار على صعيد الأمة الواحدة، فبادروا إلى واجبه الأول وهو التفقه في الدين ودراسته دراسة استيعابية تمثيلية واعية، وكان لا بد من الأخذ بالأسباب إلى ذلك الهدف، فاقبلوا على الوسيلة .. على اللغة العربية، والمثل يقول من أحب إنساناً خاطبه بلغته، فكيف بمن يحب الله . لقد أقبلوا على اللغة العربية بحب بالغ وشوق عظيم، شوق من يريد أن يسمع السماء بحرف السماء، ويناجي بما علمته السماء، ويؤدي حق عبادة الله فرائضها وسننها أداءً سليماً، .. أقبلوا على هذه اللغة بشوق من يريد أن يكون حائزاً على العضوية الصحيحة في المجتمع الإسلامي، مما حث بعض رجال الفرس في الصدر الأول إلى ترك بيوتهم والتوجه إلى مكة والمدينة مهاجرين في سبيل الله، ومن ثم إلى عواصم الخلافة وحواضر العلم الإسلامية من بعد، وكانت الحركة الإسلامية تتطور بكل ازدهار وتوفيق، وبدأ الفرس يفرغون كل ما في جعبتهم من خبرة في دوائر الحكم والسياسة والعلم والأدب والفض والإدارة والصناعة ونظم المجتمع.

أما موقفهم التاريخي من نشر الدعوة الإسلامية فإن الفرس وسلطينهم عملوا على توسعة النطاق الإسلامي شرقاً واعتبروا

أنفسهم الجناح الشرقي للنشر الإسلامي، وانطلقوا بأعلام الإسلام يحملون القرآن إلى قلب آسيا الوثنية مبشرين ومنذرين. ولما انتهت عصور الملاحم الحربية ظلت هذه الأصقاع الشرقية من العالم الإسلامي تحمل الطابع الإيراني في كل ما هو إسلامي.

لقد تعرّض العالم الإسلامي إلى تغيرات جغرافية كثيرة بين الاتساع إلى الأندلس والبلقان وأوروبا الوسطى وآسيا الوسطى والهند حتى حدود الصين، وبين الانكماش الذي بلغ حد اختطاف بعض أقاليمه، ولكن الواقع هو أن الأساس الذي رسّخته الدعوة في شرق العالم الإسلامي كان من المتانة والمنعة بحيث استعصى على أشدّ الأنواء المعادية والحركات المعارضة.

هذا وقد ساهم الإيرانيون في توطيد دعائم الحضارة الإسلامية وإذا انطلق الحديث بنا إلى الحضارة الإسلامية فلننتجول قليلا في افياء هذا الجو الفسيح الممتع.

قلنا إن الشمول الإسلامي كان الجاذبية الفعالة في إقبال الإنسان على الإسلام واعتناقه إياه أينما كان، فلما أدرك الإنسان بلسم جراحه في دين "أحب لأخيك المسلم ما تحب لنفسك"، خلع الأثواب الضيقة وارتدى الثوب الجديد وجلست الأمم والشعوب على صعيد الوحدة، وحدة الدين ووحدة المجتمع ووحدة حرمة الإنسان وكرامته.

كان هذا الحجم الهائل من البشر يتكوّن من شعوب مختلفة

لكل شعب منها إمكانياته وكفاءاته، فما إن وحد الإسلام هذا الحجم حتى ظهرت آثار كلية وتغييرات جذرية في غاية الأهمية على ساحة التاريخ البشري، وكذلك التقت هذه الحضارات الواحدة بالأخرى داخل الإطار الإسلامي وتفاعلت جميعاً وأحدثت فيما بينها وحدة حضارية متكاملة هي ما تعرف بالحضارة الإسلامية، التي بلغت إلى حد أثبتت أنها أسمى الحضارات وساهمت في تكوينها كل الشعوب فهي ليست مقتصرة على نوع معين من الفكر أو لون معين من الحياة.

قيل في تعريف الحضارة أنها أحوال عادية زائدة عن ضروري الحياة زيادة تتفاوت بتفاوت الرفاهية وتفاوت الأمن من القلة والكثرة. وأساس كل تقدم حضاري هو المعارف، فالحضارة هي القمة الكبرى التي رفعت الإنسان إلى الدرجة التي يستحقها في الأرض وجعلت بينه وبين الحيوانات غير الناطقة بوئاً عظيماً، وتختلف أسباب ذلك باختلاف نظام الهيئات الاجتماعية وقوانين المدنية وطباع الشعوب.

فإذا كان العلم أساس كل تقدم وجب علينا أن نولي العلم المقام الأول من حديثنا، وذلك بأن نحدد موقف الإسلام بالنسبة للعلم فنقول:

إن القرآن في حد ذاته كتاب بُعث به رسولٌ من الأميين للأمينين، وكانت أول سورة نزلت منه بمثابة افتتاحية الكتاب أو مقدمته

المعرفة له المحددة لموضوعه وهي: ﴿ اَقْرَأْ بِاِسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ،
خَلَقَ الْاِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ، اَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْاَكْرَمُ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴾.

فأول تكليف هو القراءة، هو العلم بما يجهله الإنسان، فالأساس في القرآن هو العلم والأساس في الأمة الإسلامية هو القرآن. فهو في حد ذاته درس سماوي أستاذه النبي ومادته المعرفة وطلابه المسلمون، هذا ولا أظن أن أحداً من أصحاب الشرائع كان أعظم اعتناء بالعلم وأكثر اهتماماً بشأنه كصاحب الشريعة الإسلامية، ولو أردنا أن نعدّد ما ورد عن النبي في موضوع العلم لنفد البحر قبل أن تنفذ كلماته، وأكتفي بذكر بعض من هذه الأخبار: روى ابن عبد البر عن انس عن النبي (ص) انه قال: "طلب العلم فريضة على كل مسلم". واخرج أبو نعيم عن علي عليه السلام انه قال: "العلم خزائن ومفتاحها السؤال فاسألوا يرحمكم الله فإنه يؤجر فيه أربعة السائل والمعلم والمستمع والمحبّ لهم". واما عن العلماء فيكفي أن نشير إلى المبدأ العام عند المحدثين من التزام قاعدة تقليدية منهجية لم تتغير حتى اليوم وذلك بأن يستهل عالم الحديث كتابه بباب في تعريف العلم.

وأما عن طبقة الخلفاء والأمراء والحكام من المسلمين فقد رأوا في العلم تزكية ومكنة وشرفاً، فأقبلوا عليه بشوق بالغ واعتنوا بشأنه وتنافسوا واحتفلوا بأهله.

يقول ابن قتيبة: "خرج الوليد بن يزيد حاجاً ومعه عبد الله بن

معاوية بن عبدالله ابن جعفر فكانا ببعض الطريق يلعبان بالشطرنج فاستأذن عليه رجل من ثقيف فأذن له وستر الشطرنج بمنديل، فلما دخل سلم عليه وسأله حاجته. فقال له الوليد: أقرأت القرآن؟ قال: لا يا أمير المؤمنين شغلتنى عنه أمور وهنات. فقال: افتعرف الفقه؟ قال لا، قال: افرويت من الشعر شيئاً؟ قال: لا، قال: فكشف المنديل عن الشطرنج، وقال شاهك "أي كش ملك بالمعنى الاصطلاحي. فقال له عبد الله بن معاوية يا أمير المؤمنين!! وأشار إلى الرجل، قال أسكت فما معنا أحد.

والذي أحب أن أضيفه إلى هذه الرواية ان هذه العلوم التي سأله عنها كانت علوم العرب في ذلك الوقت.

ويمتدح المقدسي سيرة آل سامان فيقول: "إنهم من أحسن الملوك سيرة ونظراً وإجلالاً للعلم وأهله".

وكان السلاطين والأمراء يتفاخرون بتقريب العلماء إليهم وتأليف الكتب بأسمائهم، ويأخذهم الزهو في ان يقال أن العالم الفلاني عند الملك الفلاني. فكان العلماء والأدباء والشعراء وأهل الفضل يدلون عليهم ويتعززون بهم، وقد يقترح الأمير على العالم أن يؤلف باسمه كتاباً فلا يقبل بالغا ما بلغ العطاء.

يحكي صاحب نضح الطيب: أن أبا غالب اللغوي القرطبي المتوفى سنة أربعمائة وست وثلاثين لما ألف كتابه في اللغة بعث إليه أبو الجيش مجاهد العامري ملك الحرائية ألف دينار

ومركوباً وكساء على أن يطرز الكتاب المذكور باسمه فيزيد عليه جملة بسيطة هي "إن هذا الكتاب مما ألفه أبو غالب لأبي الجيش مجاهد" فقال أبو غالب: كتاب الفقه ينتفع الناس به وأخلد فيه همّتي أجعل في صدره اسم غيري؟! وأصرف له الفخر؟! فأبى وردّ الدنانير فلما بلغ هذا مجاهداً استحسن موقفه وضاعف له العطاء.

ويقول النظامي العروضي في كتابه مجمع النوادر المشهور باسم (جهار مقاله):

جرى الرسم بين الملوك على التفاخر بالعلم، فكان الملك منهم يبعث رسولا إلى الملك الآخر يسأله غموض الحكم فيجمع هذا علماء بلده ويتشاورون ويدلي كلُّ بدلوه حتى يعثر على الجواب اللازم، وظل هذا التقليد باقياً إلى عهد سبكتكين، فلما استولى السلاجقة على الحكم عفى هذا الرسم وانطمس كثير من معالم العلوم.

ويقول أبو حيان التوحيدي: إن ابن عباد (أي الصاحب إسماعيل بن عباد) كان إذا قدم عليه أحد من أهل العلم يقول له: يا أخي تكلم واستأنس وانبسط وأفرح ولا يروعك هذا الحشم والخدم وسلطان الحكم.

أنى وإن كنت قد أطلت في مقام العلم عند الخلفاء والحكام إلا إنني في الواقع قد كبحت جماح القلم لأن تنافسهم على شرف العلم هو الذي ملأ المكتبة الإسلامية بهذه الثروات الطائلة. لقد

كانت النتيجة لهذا المقام الذي أولاه الإسلام ورجاله للعلم أن بلغ الرواة والمحدثون في القرنين الأولين للهجرة عدداً لا يحصيه إلا الله، ويندر وجود قرية صغيرة على خريطة العالم الإسلامي لم يخرج منها عالم أو محدث أو مفكر كان لجهوده أثر ملحوظ في دفع عجلة التطور إلى الأمام.

وأما البيئة العامة والحالة العلمية للمجتمع بمعناه الأوسع فيكفي أن نشير إلى العرف المتوارث الذي لا زال جارياً في ذلك الزمان. فالبسطاء الذين لم يساعدهم الحظ أن يحققوا لأنفسهم قدراً من العلم، كانوا يحلمون بتحقيق هذه الأمنية في أولادهم، حتى يسعدوا أبناءهم باقتناء كنز العلم، وهم بذلك من أكبر المساهمين والمؤسسين للكيان العلمي.

وكان المحدث أو الفقيه يهاجر في طلب العلم فينتقل من شاش سمرقند في أقصى الشرق إلى قرطبة في أقصى الغرب، فما إن يدخل بلداً في طريقه حتى يحتفل به علماءه ويعظموه ويغتنمون وجوده، فالعربي والعجمي والبربري والتركي والهندي سواء بسواء في هذا الحق وأمام هذا الواجب فالكل مسلم وأخ للأخر، وكانت المدارس والزوايا والمنازل والأرزاق وكل ما يلزم من أسباب الإقامة والرحيل حاضراً، لأن العلم كان العبادة العقلية ووسيلة التقرب إلى الله عن طريق الفهم والإقناع.

كان هذا مركز العلم في نظر الإسلام ودور المسلمين بالنسبة له بصورة عامة، ولهذا لا عجب في أن تصل الحضارة الإسلامية إلى

أوج ازدهارها وتترقى الأمة في كل قطاعاتها وكوادرها . وكان لانبساط الدولة العباسية ووفرة ثروتها ورواج تجارتها أثر كبير في خلق نهضة ثقافية لم يشهدها الشرق من قبل، حتى لقد غدا الناس جميعاً من الخليفة إلى أقل أفراد العامة شأنًا، غدوا طلاباً للعلم وكانوا يردون موارد العلم ليعودوا إلى بلادهم كالنحل يحملون الشهد إلى جموع التلامذة المتلهفين، ثم يصنفون بفضل ما بذلوه من جهد متواصل هذه المصنفات التي هي أشبه بدوائر المعارف والتي كان لها أكبر الفضل في إيصال هذه العلوم إلينا .

وقد يخطر على الذهن أنني أقتصر القول على العلوم الدينية، فأقول: مع أن أشرف العلم ما وصل إلى الحقيقة وما ربط الإنسان بخالقه، إلا أن الدين كان في خدمة المجتمع وكان الدين هو القاعدة التي نشأت عليها العلوم نقلية وعقلية أصلية وفرعية. فإلى جانب التفسير والحديث والفقه والكلام والأخلاق والنحو والصرف والفتن والبلاغية والأدب والتاريخ والجغرافيا كانت الفلسفة والرياضيات والطبيعات والكيمياء والصيدلة والنجوم والطب والإدارة والسياسة والحرب وحتى فنون اللعب والصيد والحرف على اختلاف أنواعها .

وإذا كنا قد أثبتنا أن الإسلام دين حضاري بالعلم والتطور العلمي، فأقف على سبيل المثال عند مظهر من مظاهر الحضارة المتطورة وذلك المظهر هو الناحية الاقتصادية.

لقد كانت التجارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري مظهرًا

من مظاهر عظمة الإسلام، وكانت سفن المسلمين وقوافلهم تجوب كل البحار والبلاد، كما احتلت تجارة المسلمين المكان الأول في التجارة العالمية، وكانت الاسكندرية وبغداد هما اللتان تحددان الأسعار العالمية في ذلك العصر، فكان التجار المسلمون حوالي القرن الرابع الهجري يقطعون الأقطار براً وبحراً ينقلون البضائع من بلد إلى بلد بين شواطئ فارس وسواحل أفريقيا والحبشة واليمن وسواحل الهند والصين وسائر الشرق، ويقطعون صحارى خراسان وتركستان وأرمينية وأفغانستان والهند والشام ومصر والسودان وشمال أفريقيا والأندلس، ينقلون أصناف التجارة كانهم هم وحدهم تجار الأرض، وليس في الشرق مركز للتجارة الا البصرة بحراً وبغداد براً.

قرأت في سيرة نظام الملك أن ملاحى نهر جيحون طالبوه بأجورهم السنوية فأحالهم إلى إنطاكية في الشام فشق عليهم الأمر ورفعوا أمرهم إلى السلطان ملكشاه السلجوقي، فسأله السلطان عن الحكمة في هذا الأمر الغريب، فأجاب نظام الملك: لقد أردت أن يعلم من يتولى الحكم من بعدنا إلى أي حد من العظمة بلغ ملكنا! إن هذا القول من نظام الملك يحسن السكوت عليه، إلا أن ما تبقى من القصة أعظم من هذا بكثير. قال ملكشاه نعم: ولكن ما لهؤلاء المساكين؟ وكيف يقطعون هذه المسافة البعيدة؟ قال نظام الملك: ولماذا يشقون على أنفسهم بالسفر إذا كان في إمكانهم ان يأخذوا حقوقهم من تجار بلدهم مقابل

التنازل عن نصف عشر في المائة!!

وقيل إن عضد الدولة لما عزم على تجديد عمارة بغداد ألزم أرباب العقارات بالعمارة، فمن قصرت يده عن ذلك اقترض من بيت المال. ومعنى هذا أن رأس مال الدولة أو الدولة برأس مالها كانت تضمن مشاريع الأفراد الخاصة.

يطول بنا الكلام لو أردنا التحدث عن المظاهر الأخرى لهذه الحضارة الخالدة كالعمارة والفن ونظم المجتمع من حيث التقاليد، إلا أن ما لا يدرك كله لا يترك جله، فلنأخذ ما يلزمنا وما يؤيد هدفنا الأصلي من الطابع العام للوحدة الإسلامية كمظهر من مظاهر الشمول في الإسلام.

أما ازدهار العمارة والفن فهذا أمر لا يحتاج إلى دليل لأنه يقدم نفسه بنفسه في كل مكان وزمان. لقد هضم الإسلام الفنون المعمارية من فارسية وبيزنطية، مكوناً فناً إسلامياً صرفاً متدرجاً من المسجد إلى المنزل إلى القصر إلى المدينة. على إننا نلاحظ أن في الطابع الإسلامي قاسماً مشتركاً بينها جميعاً، وإن فيها على اختلاف أشكالها وحدة مشتركة. فالمسجد بطبيعة الحال يوجه قبلته نحو الكعبة، فقبلته جنوبية إذا وقع شمال الكعبة، وشرقية إذا وقع غربها، والمنازل والقصور في غالبيتها تخفض حوائطها وأسوارها المواجهة للكعبة. وما يقال عن المنازل والقصور يطلق على المدن، وذلك لأن الاتجاه الأول للمسلم في حياته هو الكعبة. فالعمارة في العالم الإسلامي إذ ذاك قبل أن تتدخل هندسة المدينة

الحديثة كانت في وحدة الاتجاه إلى مركز الدائرة مهما كان وضعها على مساحة الدائرة، وهذا ما أحدثه الشمول في الإسلام من أثر على العمارة الإسلامية بوحدة الاتجاه والهدف.

والكلام عن الحضارة الإسلامية لا ينتهي، ولكن يجب أن نذكر كلمة تكون نتيجة لهذا البحث وهي أن حضارتنا الإسلامية التي بلغت في ذلك الزمان إلى غايتها الأسمى، وان كانت قد أثرت في تكوينها علل عديدة وعوامل شتى، إلا أنه يمكننا أن نوحّد على ضوء التفكير الفلسفي والتجريد العلمي، هذه العلل مع كثرتها في علة واحدة أو في شيء واحد يكون الجزء الأخير للعلة التامة حسب ما يقوله الفلاسفة، وهذه العلة الوحيدة أو هذا الجزء الأصلي لم يكن شيئاً سوى (الإيمان)، إيمان المسلم بالله أولاً، وإيمانه بالمجتمع الإسلامي الذي يعيش فيه ويتمتع به ويكون عضواً له ثانياً، وإيمانه بنفسه وبالقوة التي أودعها الله فيه ثالثاً، فمتى كانت هذه العلة موجودة ومتى امتلأت قلوبنا بالإيمان ومتى كان هذا الشعور حياً، فليس لنا أن نشك في أن الله معنا والله ناصرنا. ولو افتقدنا لا سمح الله هذا الإيمان، فليس لنا أن نطمح في شيء من العزة والمنعة، بل ليس لنا أن نطمح في حياة سعيدة وعيشة راضية. يقول الله عزوجل: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

موضوعات الساعة

الإمام الخامنئي يؤكد ان مشكلة أمريكا مع النظام الإسلامي

لا تنحصر بالقضية النووية

أكد الإمام السيد علي الخامنئي أن الجمهورية الإسلامية الإيرانية تعارض صنع واستخدام السلاح النووي لاعتبارات شرعية ودينية.

كما أكد لدى استقباله مدير عام الوكالة الدولية للطاقة الذرية محمد البرادعي على ضرورة بقاء الوكالة كمركز دولي مستقل , مضيفاً: نظراً الى الأجواء الدولية الايجابية الراهنة بشأن النشاطات النووية الإيرانية , فإن الحل الصحيح لهذه القضية سيكون اختباراً هاماً ونجاحاً كبيراً للوكالة الدولية للطاقة الذرية.

واشار سماحته الى الموقف المبدئي لنظام الجمهورية الإسلامية الإيرانية تجاه ضرورة تطبيق المعاهدات الدولية , مضيفاً : إن الجمهورية الإسلامية الإيرانية نفذت التزاماتها لحد الآن على هذا الأساس فيما يتعلق بمعاهدة حظر الانتشار النووي (ان بي تي).

واعتبر سماحته أن مشكلة أمريكا مع النظام الإسلامي الإيراني تتعدى القضية النووية , مؤكداً أن الامريكيين يتصورون خطأ أن

بإمكانهم هزيمة الجمهورية الإسلامية من خلال ممارسة الضغوط على إيران في القضية النووية، ولكنهم سيفشلون في إخضاع الشعب الإيراني بواسطة طرح هذه القضية أو قضايا أخرى. وأكد البرادعي على حق إيران في الاستفادة من الطاقة النووية من أجل تنمية البلاد، واعتبر التفاوض الطريق الوحيد لتسوية القضية النووية الإيرانية، معرباً عن أمله في إعادة الملف النووي الإيراني من مجلس الأمن إلى الوكالة الدولية للطاقة الذرية.

التسخيري يستقبل الزيات

التقى السيد "احمد الزيات" رئيس مكتب شؤون المصالح المصرية في طهران بالأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية آية الله محمد علي التسخيري في مكتبه بطهران.

وأشار التسخيري في هذا اللقاء إلى نشاطاته الأخيرة مثل مشاركته في مؤتمر الإرهاب في تونس ومؤتمرات اسطنبول وطاجيكستان وأبدى رغبته واستعداده لتوسيع علاقاته مع العلماء والمثقفين والساسة المصريين.

وأشار بعدها الدكتور أحمد الزيات إلى العلاقات الموجودة بين إيران ومصر على مستوى السياسيين والمفكرين وصرح أن الإعلام المصري يطالب بتنمية هذه العلاقات. وقال: إن هدفه من هذه

الزيارة هو توجيه دعوة للأمين العام للمشاركة في مؤتمر "الأمن الاجتماعي الإسلامي" الذي سوف يعقد بالقاهرة. في أواسط شهر مارس لعام ٢٠٠٨. ومن المواضيع المحورية لهذا المؤتمر: الأمن والحقوق الاجتماعية في الإسلام، التعددية الدينية والمذهبية، تطبيق الأمن الاجتماعي.

وفي المقابل وجه الأمين العام دعوة الى الدكتور حمدي زقزوق وزير الأوقاف المصري للمشاركة في المؤتمر الدولي الحادي والعشرين للوحدة الاسلامية في طهران تحت عنوان "ميثاق الوحدة الاسلامية".

معرض الانسجام الإسلامي الأول

اختتم "معرض الانسجام الاسلامي" الأول الذي أقامه المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب بالتعاون مع مكتب الإعلام الإسلامي في مدينة قم أعماله بعد أسبوع حافل من النشاط التقريبي، شاركت فيه أكثر من (٢٥) مؤسسة ومركز علمي.

وفي حفل الاختتام تحدث الشيخ أحمد مبلغي رئيس المركز العلمي التابع للمجمع العالمي للتقريب مشيراً إلى أن المعرض استطاع أن يبين حجم العمل الذي تقوم به المؤسسات الحوزوية على العصيد التقريبي، ومؤكداً أن هذا النوع من النشاطات من شأنه تعميق الروح التقريبية في أروقة الحوزة العلمية.

أما كلمة الاختتام فكانت لسماحة الشيخ محمد علي التسخيري الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب، وفيها أشاد بهذا العمل التقريبي المرموق، شاكراً الحوزة العلمية بمراجعتها وأساتذتها وطلبتها ومراكزها على ما قدموه من عون لإقامة هذا المعرض المهم. ودعا سماحته إلى تفعيل مثل هذه المعارض وتحويلها إلى حالة عامة من حيث السعة... والامتداد، والعمل على إقامتها في أكثر من بلد إسلامي.

وبيّن التسخيري أن هذا المعرض، الذي أقيم استجابة للنداء الواعي للسيد القائد في تسمية هذا العام بعام الوحدة والانسجام الإسلامي، من شأنه هو وما يماثله من نشاطات أن يقف في وجه المؤامرة الظالمة التي تحوكمها دول الاستكبار لتقسيم الأمة، خاصة بعد الانتصار الكبير الذي حققه حزب الله على العدو الصهيوني، وما أفرزته حرب تموز من تلاحم إسلامي عظيم ظهر جلياً في ما عبّرت عنه الجماهير المسلمة على امتداد العالم.

وقد كانت الخطة التي عمل عليها أعداء الأمة بعد هذه الحرب هي تفتيت ذلك التلاحم، وتقسيم الأمة إضعافاً لقدراتها ومنعاً لاستمرار تدفق الحياة في عروقتها.

وبيّن سماحته أنه ومن خلال مشاركته في المحافل الفكرية في أكثر من بلد إسلامي يشاهد حضوراً كبيراً للفكر التقريبي في جميع المحافل الإسلامية الرسمية منها والشعبية، معتبراً هذه الظاهرة مؤشراً إيجابياً على وعي الأمة للمخاطر المحيطة بها.

وختم التسخيري كلمته بطمأنة الأمة بأننا سننتصر على كل محاولات التفرقة وزرع الفتنة مهما كبرت التحديات وتفاقت المؤامرات.

وقد شمل المعرض عرضاً للفعاليات والإصدارات التقريبية للمؤسسات المشاركة، بالإضافة إلى (١٠) ندوات علمية تخصصية ناقشت أهم المسائل المتعلقة بفكر الوحدة الإسلامية.

لا حوار مع الفاتيكان قبل أن تعتذر للمسلمين

رفض الدكتور محمد سليم العوا الأمين العام للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين بدء أي حوار مع الفاتيكان قبل تقديم البابا بنديكت السادس عشر اعتذاراً عن محاضرته المسيئة للرسول(ص). وجاءت تصريحات العوا تعليقاً على الدعوة التي وجهها بابا الفاتيكان لوفد من علماء المسلمين، إلى عقد اجتماع في الفاتيكان.

وأكد الدكتور العوا أن هناك موقفاً واضحاً ومحدداً للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين لا يمكن التراجع عنه، وهو عدم محاورة الاتحاد للفاتيكان كمؤسسة رسمية للكنيسة الكاثوليكية ما لم يغير البابا من موقفه الذي أساء فيه للرسول والقرآن.

وقال: نعتبر أن هذا الرفض هو أدنى رد فعل ممكن للموقف السيئ لبابا الفاتيكان من الرسول(ص) ومن القرآن الكريم في محاضرته بألمانيا العام الماضي، خاصة أنه لم يغير من هذا الموقف

حرفاً حتى الآن، فكل ما صدر من بيانات تالية كانت مجرد تلاعب بالألفاظ ومحاولة للإشعار بتغير لم يقع.
وأوضح العوا أنه يرحب بالحوار مع كافة المسيحيين الذين لا يمثلون المؤسسة الرسمية للفاتيكان.

وفي نفس السياق أكد سماحة الشيخ محمد علي التسخيري الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية رفضه للحوار مع الفاتيكان قبل أن يعتذر البابا، وقال: نحن نتوقع من البابا أن يبدي ندمه لفعلة المشينة ضد المقدسات الإسلامية، ولا يمكن أن ندخل في حوار مع الفاتيكان قبل ذلك، وإن تراجع البابا عن تصريحاته من شأنه أن يهيئ الظروف الطبيعية والموضوعية للحوار.

وتشهد العلاقة بين الفاتيكان والعالم الإسلامي أجواء توتر منذ ربط البابا بنديكت السادس عشر الإسلام بالعنف خلال محاضرة في موطنه ألمانيا العام الماضي، حيث أثارت تلك المحاضرة احتجاجات كبيرة في العالم الإسلامي.

ورغم أن بنديكت عبر عن أسفه لرد فعل المسلمين الغاضب لما تسببت فيه تصريحاته، إلا أنه لم يعتذر عنها.

الندوة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة

تعقد ندوة "الجزائر الدولية للإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية" في الفترة من ١٠ إلى ١٢ مارس القادم

تحت رعاية الرئيس الجزائري عبدالعزيز بوتفليقة.

وتدور محاور الملتقى ، حول تأصيل الإعجاز العلمي والإعجاز البياني والإعجاز التشريعي والعلوم الطبية والصيدلانية وعلوم الفلك والإعجاز الأرضي والحسابي والإعجاز في علم الأرصاد الجوية والإعلام والإعجاز العلمي.

ملتقى "تعارف الحضارات والرسالات" في دمشق

انعقد في دمشق ملتقى "تعارف الحضارات والرسالات في ظل الأسرة الإنسانية الواحدة"، بمشاركة عدد من المفكرين وعلماء الدين من سوريا والولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا وإسبانيا.

وأكد وزير الأوقاف السوري في افتتاح الملتقى، أن الحوار قيمة من قيم الحضارة الإسلامية المستندة أساساً إلى مبادئ الدين الحنيف وتعاليمه السمحاء، وهو موقف فكري وتعبير عن أبرز سمات الشخصية الإسلامية السوية، وهو ينشد الحق والخير والعدل والتسامح وكل أشكال التفاهم البشري والحيلولة دون الفساد في الأرض.

وقال: إن الحضارة الإسلامية قامت على أساس التفاعل الحضاري والحوار والانفتاح على الآخر، حيث أخذت عن الحضارات السابقة واقتبست من ثقافات الأمم والشعوب التي احتكت بها وصهرت كل ذلك في بوتقة الإسلام.

ندوة الذاكرة الثقافية للشعوب

عُقدت في باماكو عاصمة جمهورية مالي ندوة حول موضوع (حق الشعوب في صيانة ذاكرتها الثقافية). وحضر في هذه الندوة، الرئيس الجزائري الأسبق أحمد بن بلة، ووزير التعليم الثانوي والعالي والبحث العلمي في مالي السيد أمادو توري، وأمين جمعية الدعوة الإسلامية العالمية الدكتور محمد أحمد الشريف، وعدد من المسؤولين في الحكومة المالية، وشخصيات علمية وثقافية وممثل المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الاييسيسكو).

المدير العام للإيسيسكو يدعو إسبانيا إلى إطلاق مبادرة للمصالحة

بين العالم الإسلامي والغرب

أكد الدكتور عبد العزيز بن عثمان التويجري، المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو)، أن المبدأ الجوهرى والأساس الذى ينطلق منه العالم الإسلامى فى بناء جسور الحوار بين الثقافات والحضارات والأديان جميعاً، هو مبدأ أصيل، لأنه من صميم المبادئ الراسخة التى يؤمن بها أكثر من مليار وربع المليار من المؤمنين بالرسالة الإسلامية فى هذا العالم، والذى هى رسالة تنوير وتسامح وإخاء، تؤمن بوحدة الأصل الإنسانى وبالتساوى بين البشر فى الكرامة وفى الحق فى الحياة، فى ظلّ الأمن والسلام والوثام والتفاهم.

وقال في كلمة ألقاها أمام المنتدى العالمي الأول لتحالف الحضارات في مدريد بحضور الأمين العام للأمم المتحدة والرئيس السنغالي ورئيسي الحكومتين الإسبانية والتركية والمندوب السامي لتحالف الحضارات وعدد من رؤساء الحكومات ووزراء الخارجية وممثلي المنظمات الدولية والإقليمية : «إن هذه المبادرة التي تطلقها الحكومة الإسبانية، والتي تعزز مبادراتها السابقة التي ينعقد هذا المنتدى في إطارها، تخوّل لها، بما يتوافر لديها من رصيد تاريخي وراثي حضاري، وبما لها من علاقات متينة متميّزة تربطها بين الشرق والغرب والشمال والجنوب أن تتقدّم الصفوف في اتجاه إقامة أسس قوية للتحالف بين الحضارات، من خلال مبادرات عملية ملموسة، يكون من شأنها حشد الطاقات الحيّة لإقامة تحالف حقيقي بين الحضارات، يضع حداً نهائياً لعصور متطاولة من الشك والنفور والصراع الذي لا مبرر له، بين الكتل الحضارية التي تعرفها الإنسانية في هذه المرحلة من التاريخ» .

وأعلن أنّ تحالف الحضارات يتوقف على المصالحة مع الماضي، وعلى تجاوز العقد التاريخية، وعلى ردّ الاعتبار للثقافات والحضارات، بما يتطلّب ذلك من انفتاح حضاري واسع من منطلق احترام الخصوصيات الثقافية للأمم والشعوب التي هي شركاء في صنع الحضارة الإنسانية التي نعيش جميعاً في أجوائها.

افتتاح مركز قطر الثقافي والإسلامي (فنار)

افتتح مركز قطر الثقافي الإسلامي (فنار)، وسط حضور كثيف لوزراء وشخصيات إسلامية ودبلوماسية.

وقال وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية القطرية: إن المركز الذي تشرف عليه وزارة الأوقاف، يسعى إلى إبراز القيم الإنسانية والمعاني الحضارية للدين الإسلامي، وبذل الجهد لتكون في مستوى إسلامنا رسالة وفقهاً ودعوة وفي مستوى عصرنا ومتطلباته خطاباً وممارسة ومساهمة وعطاء.

وأشار إلى أن المراكز والمؤسسات الإسلامية تقف اليوم أمام مسؤوليات ضخمة وتحديات كبيرة على مستوى الذات والمطلوب منها أن تجتهد لتبرز محاسن الإسلام وإنسانيته وتسامحه واعتداله واحترامه لحقوق الإنسان وحرية الاختيار.

ويهتم المركز بإبلاغ رسالة الإسلام إلى غير المسلمين ونشر ثقافته ورعاية شؤون المسلمين الجدد وتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، منطلقاً من مفهوم عالمي حضاري يقدم الإسلام منهجاً للحياة إلى الناس كافة بمخاطبة الأفراد والمجتمعات حسب حاجتهم وتطلعاتهم.

ويضم المركز مكتبة تحتوي على الكتب والوسائل التعليمية باللغات المختلفة لتحقيق أهداف الوظيفية والقيام بالأبحاث والدراسات الميدانية وتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها وإقامة البرامج والأنشطة الثقافية والاجتماعية.

ميثاق العمل الاسلامي في اوروبا

وقعت العديد من المنظمات والجمعيات الإسلامية في دول الاتحاد الأوروبي على ميثاق عمل للمسلمين المقيمين داخل دول التكتل الأوروبي، في العاصمة البلجيكية بروكسل.

وأشرف اتحاد المنظمات الإسلامية الأوروبية (مقره فرنسا) على بلورة هذا الاتفاق بين العديد من المنظمات والجمعيات الإسلامية المنتمة إليه وجمعيات ومنظمات أخرى.

وينص ميثاق العمل الإسلامي في أوروبا على جملة من البنود التي تشير إلى واجبات وحقوق المسلمين الأوروبيين في مجتمع متعدد الثقافات والأديان وفي إطار دساتير وقوانين الاتحاد الأوروبي.

وحول بنود الميثاق، يقول مسؤول اتحاد المنظمات الإسلامية في فرنسا وأوروبا "إن هذه الخطوة تعد حاسمة على طريق دمج المسلمين الأوروبيين وتكريس مواظنتهم كأفراد كاملين الحق في دول التكتل الأوروبي من جهة والإقرار بخصوصية تواجدهم في القارة."

وأشار إلى أن الميثاق يتضمن عدداً من النقاط المحددة التي ترسم معالم التواجد الإسلامي في أوروبا، وإلى اعتبار الأسرة النووية الأولى للمجتمع والتشديد على خصوصية مكانة المرأة المسلمة واحترام تقاليد وعادات المسلمين، وكذلك التزام هؤلاء بدساتير وقوانين المجتمع الذي يعيشون فيه.

وشدد الميثاق الإسلامي الأوروبي على ضرورة تجنب الخلط بين مظاهر العنف السياسي المتفضية في العديد من المجتمعات وبين العقيدة الإسلامية السمحاء، وكذلك على الفصل بين ظاهرة الإرهاب المنبوذ من قبل المسلمين والكفاح الوطني المشروع للشعوب.

الباطين في جامعة يزد

ألقى الأستاذ الشاعر الكويتي عبدالعزيز سعود الباطين رئيس مجلس أمناء مؤسسة عبدالعزيز سعود الباطين للإبداع الشعري في احتفالية جامعة يزد التي أقيمت لتكريمه وتخرج طلاب الدورة الأولى لمهارات اللغة العربية التي أقيمت بالتعاون بين المؤسسة وجامعة يزد كلمة قال فيها:

أودّ أن أوكدّ لكم أنّ كلّ هذه نشاطات مؤسستنا تصبّ في اتجاه واحد وهو توطيد العلاقات الثقافية وتنشيط الحراك الثقافي والأدبي والعلمي في ساحة أمتنا الإسلامية.

ولتوضيح هذا الاتجاه وأهميته في عمل مؤسستنا أشير فقط إلى أن العاملين المخلصين في حقل السياسة يحاولون أن يبحثوا عن المشتركات في مصالح الشعوب والدول، والمصالح غالباً ما تتعارض، لأسباب مختلفة لا مجال لذكرها، وهذا التعارض هو الذي يؤدّي إلى ما تشهده الساحة العالمية من أزمات وهدم وتخريب وإهلاكٍ للحرث والنسل.

أما الثقافة فتتجه إلى البحث عن المشتركات في القلوب والأرواح والعواطف الإنسانية.. أي تتجه إلى "التعارف" بين الشعوب والأجناس المختلفة ليرتفعوا إلى مستوى التكريم الإلهي للإنسان...

وقال: إن مؤسستنا إذ تنهضُ بكلِّ ما يمتُّ إلى الإحياء الثقافيِّ بصلة، فإنها تنشطُ أكثر في حقل اللغة العربيَّة والإبداع الشعريِّ لأسباب لا تخفى عليكم..

فاللغة العربية هي لغة الحضارة الإسلامية، لغة القرآن الكريم مؤسس الحضارة الإسلامية، ولغة الصلاة والحديث والدعاء.. كما أنها اللغة التي ساهم في تدوين علومها وبلاغتها كلُّ رجال الحضارة الإسلامية وخاصة الإيرانيين مثل سيبويه والكسائي وأبي علي الفارسي وعبد القاهر الجرجاني والراغب الإصفهاني وغيرهم كثيرون.. واهتمامنا بالشعر يعود إلى أنه كان دائماً مُعبِّراً عن يقظة الشعور، ويقظة الشعور هي أساس كل نهضة حضارية بين الأمم.

وبالمناسبة فإن اهتمامنا بالشعر العربي اقترن باهتمام بالأدباء العظماء العالميين مثل سعدي الشيرازي في إيران ولامرتين في فرنسا.